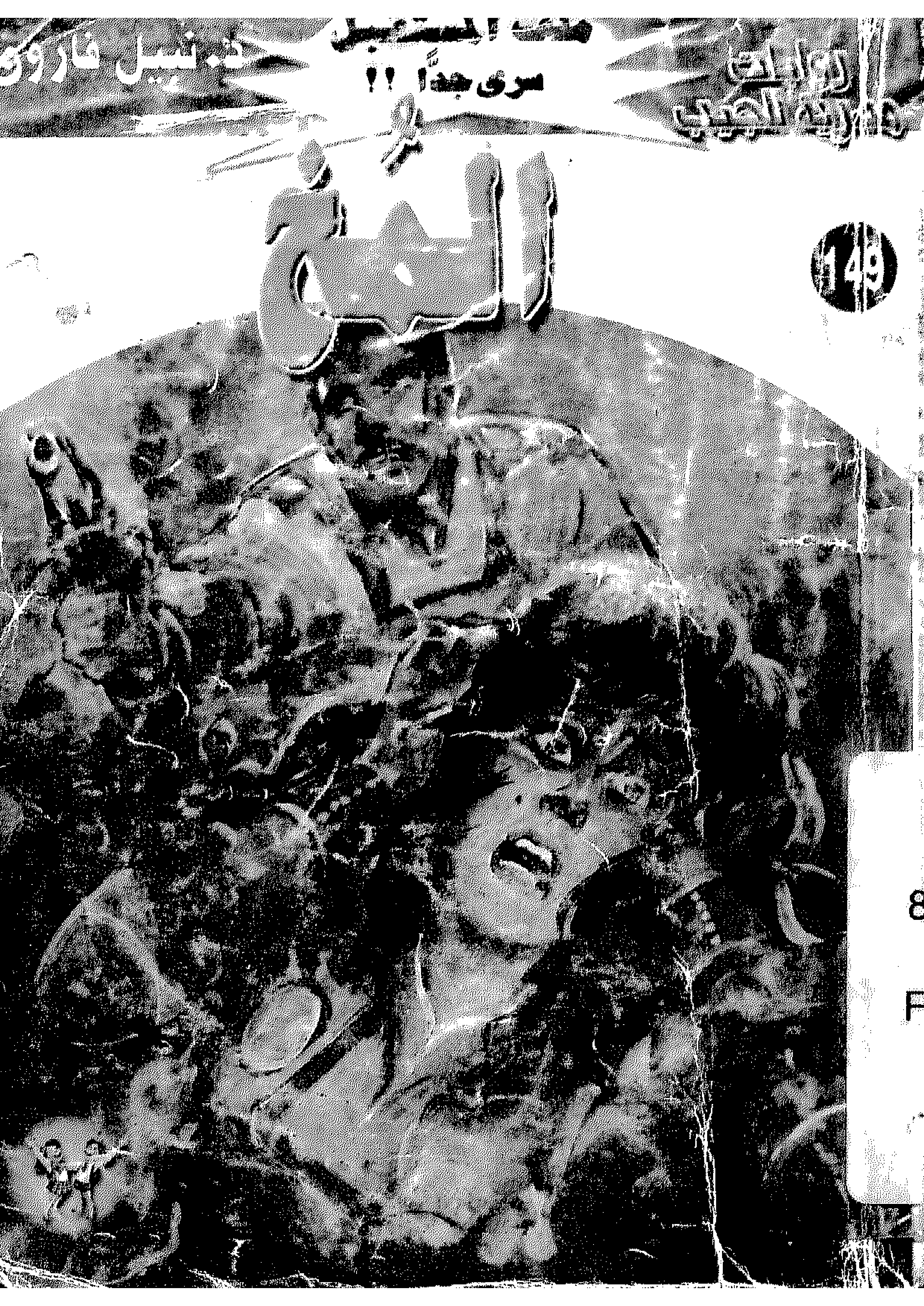


روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً !!
د. نبيل فاروق
149

جيرولاند

GEROLAND

مدينة ترفيهية متكاملة



إهـــــداء 2005

أ./ علي حسن علي حسن

الإسكندرية

أول طريق الاسماعيلية الصحراوي - مدخل مدينة العبور ت: ٤٧٧١٤٣٣/٤ فاكس: ٤٧٧١٠٨٥

أحد مشروعات مجموعة شركات (المهندسون المصريون)

149

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

المخ



سلسلة روايات

ملف المستقبل ــ سرى جدًا

سلسلة روايات بوليسية

للشباب من الخيال العلمى

●

مصنَّف مصرى مائة فى المائة

لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس

أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

بريشة

الأستاذ / إسماعيل دياب

●

إشراف

الأستاذ / حمدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ المطابع ٨، ١٠ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ـ ٦٨٢٣٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

٤ شارع بدوى / محرم بك ـ الإسكندرية

في كل رواية لذة دائمة

سلسلة روايات
ملف المستقبل

سري جدًا

149

روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي



د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ ٢٥٨٦١٩٧
فاكس ٦٨٢٧٠٠٢

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ المؤامرة ..

تعالى وقع أقدام ثقيلة ، تدق فى قوة ، أرضية ذلك الممر الرئيسى الطويل ، أسفل مقر رياسة الجمهورية ، قبل أن ينبعث صوت آلى قوى فى الممر ، قائلاً :

ـ توقَّف ، وأعلن هويتك .

توقَّف رجل يرتدى ثيابًا مدنية ، فى منتصف الممر ، وشدّ قامته على نحو عسكرى صارم ، وهو يقول :

ـ العميد (أشرف لبيب) .. الرقم الكودى (م ر ج ـ ١٠٠٧) .

لم يكد يتم قوله ، حتى سقط شعاع دائرى من الليزر على جسده ، وتحرَّك فوقه فى سرعة ، قبل أن يتوقَّف ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها شعاع آخر ، شديد الدقة ، فحص عين الرجل للحظة واحدة ، قبل أن ينبعث الصوت الآلى القوى مرة أخرى ، قائلاً :

ـ تم التحقُّق من الهوية .. ما الغرض من القدوم ؟!

أجاب الرجل بمنتهى الحزم :

ـ أنفذ أوامر سيادة اللواء نائب الرئيس ، وأنقل إليه آخر تطورات الأحداث .

ران الصمت لحظات قصار ، بعد أن انتهى من قوله ، ثـم انفتـح بـاب دائرى ، فـى نهايـة الممـر ، مـع صـوت بشـرى صارم ، يقول :

ـ ادخل أيها العميد ، وهات ما لديك على الفور .

تقدَّم العميـد (أشـرف) بنفـس الخطـوات القويــة ، عـبر الجزء المتبقى مـن الممـر ، ثـم عبـر البـاب الدائرى ، وهو يرفع يده بالتحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

ـ أخبار جديدة يا سيادة اللواء .

أشار إليه اللواء (عماد وجيه) ، نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية بالاسترخاء والهدوء ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هات ما لديك أيها العميد .

أجابه العميد ، وقد تسللت لمحة توتر إلى صوته :

ـ التطوّرات خطيرة للغاية يا سيادة اللـواء ، ولكننـى لـم أشأ إبلاغها إليك عبر أى هاتف ، مـهما بلغت درجة تأمينه ، وفقًا لأوامرك الصارمة فى هذا الشأن ، و ...

قاطعه اللواء (عماد) فى برود صارم :

ـ قلت : هات ما لديك .

ازدرد العميد لعابه ، قبل أن يندفع ، قائلا :

ـ المخابرات العلمية تصر بشدة على استدعاء جندى الحراسات الخاصة ومكافحة الإرهاب (وائل رءوف) ؛ لفحصه بمعرفة مركز الأبحاث التابع لها ، ولقد أضافت إلى هذا حتمية استدعاء وفحص سيادة العميد (ماهر) أيضًا .

انعقد حاجبا اللواء (عماد) ، وهو يقول بنفس البرود :

ـ العميد (ماهر) مدير مركز الأبحاث العسكرية ؟!

أجابه العميد ، ونبرة التوتر فى صوته تتصاعد :

ـ هو بعينه يا سيادة اللواء .

تراجع اللواء (عماد) فى مقعده ببطء ، وهو يداعب ذقنه بسبَّابته وإبهامه ، وقد انعقد حاجباه بشدة ، مع تفكيره العميق ، وإن لم يغيِّر هذا أسلوبه البارد المتحفظ ، وهو يسأل :

ـ وماذا عن ذلك المقدَّم (نور) وفريقه ؟!

أجابه العميد فى سرعة :

ـ إننا نواصل مراقبتهم ، بوساطة أقمار المراقبة الصناعية يا سيِّدى ، وبأجهزتنا القادرة على رصد وسماع ما يدور خلف أية جدران !

سأله اللواء ، وعيناه ترصدان انفعالاته فى دقة :

ـ هل تواصل ابنة (نور) محاولات دخول شبكة المعلومات العسكرية السرية ؟!

بدا العميد شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ ما سجّلته أجهزة التنصُّت القوية ، يشير إلى أنها قد نجحت فى هذا بالفعل ، إلا أن مراقبينا ما زالوا عاجزين عن رصد أختراقها للشبكة ، بأى برنامج من برامج الحماية والرصد الرقمية لديهم .

مطَّ اللواء شفتيه ، وقال :

ـ لا تنس أنها خبيرة كمبيوتر من الطراز الأوّل ، وأمها خبيرة فى الاتصالات والتتبُّع ، ومعًا تشكلان قوة تكنولوجية جبارة ، خاصة وأن المخابرات العلمية تزوّدهما دومًا بأحدث إمكانياتها ، فى سخاء بالغ ، باعتبارهما تتبعان أقوى فريق لديها ، والذى تُسند إليه أعقد المهام والقضايا وأخطرها .

وعاد حاجباه ينعقدان ، وهو يقول :

ـ ثم إنها واحدة من فريق العلماء ، الذى ابتكر وطوّر نظام شبكة المعلومات العسكرية .

قالها ، وازداد انعقاد حاجبيه بشدة ، وغرق فى تفكير طويل عميق ، فعاد العميد يشدّ قامته فى قوة ، وهو يحترم صمت رئيسه ، ويطبق شفتيه تمامًا ..

أما نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، فقد كان يعيد دراسة الموقف كله ، فى محاولة لاستيعاب ما يحدث ، واستنتاج الخطوات المحتملة التالية ..

فالأمر كله كان غريبًا ، ومختلفًا ، وخطيرًا للغاية منذ بدايته ..

هذا لو اعتبرنا أن البداية هى تلك اللحظة ، التى أطلق فيها (أكرم) ، عضو فريق (نور) النار ، على رأس ذلك المسخ الوحشى الرهيب ، الذى طوَّر قدراته العقلية الفائقة فى جبال (التبت) ، ثم عاد ليوجِّه كراهيته كلها إلى عالمه ، ويسعى إلى السيطرة عليه وتدميره(*) ..

ففى تلك اللحظة ، تصوَّر الكل أنها نهاية معركة طويلة عنيفة ..

ولكنها لم تكن كذلك ..

لم تكن كذلك أبدًا ..

(★) راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغامرة رقم (١٤٦) .

فعلى العكس مما تصورَّه الجميع ، كانت البداية ..

بداية معركة وحشية عقلية جديدة ..

معركة أكثر عنفًا ..

وخطورة ..

وشراسة .

معركة بين العالم كله ، وعقل هائل جبار ، بدا وكأنه قد عاد من أعمق أعماق الموت المظلمة ؛ لينتقم من كل من أساء إليه ..

ليس هذا فحسب ، ولكن لتدمير العالم كله ..

عالمنا ..

تدميره وإفناؤه تمامًا ..

وكانت البداية الجديدة مع فريق (نور) ، الذى أدرك أنه يواجه خصمًا رهيبًا ، تجاوزت قدراته الحدود ..

كل الحدود ..

وفى تصريح مفاجئ ، أخبرهم الدكتور (محمد حجازى)، كبير الأطباء الشرعيين ، أن رصاصة (أكرم) لم تقتل خصمهم الرهيب ..

خصمهم صاحب المخ المزدوج ..

لقد أصابت رصاصة (أكرم) أحد المخين فحسب ، ودمرته تمامًا ، ولكن المخ الآخر استعاد نشاطه ، وراح يستيقظ ..

ويستيقظ ..

ويستيقظ ..

وبينما يسجل الدكتور (حجازى) هذه الظاهرة الفريدة ، اقتحم العسكريون المكان ، واستولوا على جسد ذلك المسخ الرهيب .

وفى مركز الأبحاث العسكرية ، أجروا عليه عددًا من التجارب ، التى انتهت كلها بالنجاح ، قبل أن يصدر قرار بتصفيته ..

وتم قتل المسخ ..

ولكن التجربة استمرَّت ..

استمرَّت لتأتى بخصم آخر ، يحمل نفس ذاكرة وكراهية الخصم السابق ..

ولكن مع قوة هائلة رهيبة ..

قوة ، استطاعت أن تجتاح أمامها كل العقبات ، وأن تسيطر على مركز الأبحاث العسكرية ، وعلى فريق العلماء المسئول عن استمرارها ..

ثم انطلقت ؛ لتمد سيطرتها على نطاق أوسع ..

على العالم بأكمله ..

ولأن رهبان (التبت) هم الدرع القوى ، الذى يقى (نور) وفريقه تلك القوة العقلية الهائلة ، ويحميه من السقوط تحت سيطرتها الوحشية المدمِّرة ، كان لابد من إزاحتهم عن الطريق ..

وبضربة وحشية قوية هائلة ، تخلَّص الخصم الوهمى العملاق من كل رهبان (التبت) ..

وهكذا ، فقد فريق (نور) درعه الأساسى ، وامتلك خصمه السيطرة على الأمور ..

السيطرة التامة(*) ..

« أريد رؤية العميد (ماهر) فورًا .. »

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأوّل والثانى ، (الصحوة الكبرى) ، و(عودة الشر) .. المغامرتين رقمى (١٤٧) ، (١٤٨) .

نطق اللواء (عماد) مبادرته بلهجة آمرة صارمة ، منتزعًا نفسه من أفكاره بغتة ، فاعتدل العميد (أشرف) فى سرعة وحزم ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، قائلاً فى قوة :

ـ فورًا يا سيادة اللواء .

أشار اللواء (عماد) بيده ، قائلاً بنفس الصرامة الآمرة :

ـ اذهب إليه بنفسك .. لا أريد أية اتصالات يمكن تعقُّبها .. هل تفهم ؟!

أجابه العميد (أشرف) فى حسم :

ـ بالتأكيد يا سيادة اللواء .. بالتأكيد .

ثم اندفع لتنفيذ الأمر ، فى حين تراجع اللواء (عماد) مرة أخرى فى مقعده ، وعاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يعيد التفكير فى الأمر ..

من الواضح أن التجربة قد نجحت ..

بل وتجاوزت كل الحدود أيضًا ..

وهذا قد يعنى كل النجاح ..

أو كل الفشل ..

الأمر سيتوقَّف على كيفية معالجته للأمر ..

وعلى دقة البرنامج شديد التطوّر ، الذى يحكم التجربة كلها ..

أو على ..

« لا ترهق نفسك بالتفكير طويلاً .. »

انتفض جسد اللواء (عماد) فى قوة ، مع العبارة المفاجئة ، التى انبعثت على مسافة متر واحد منه ، واستدار إلى مصدرها بحركة حادة عنيفة ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى ذلك الرجل ، الذى يقف مبتسمًا ، إلى جانب مكتبه تمامًا .

إلى العميد (ماهر) ..

شخصيًّا ..

★ ★ ★

فجأة ، انطلقت من حلق (نور) صرخة ..

صرخة بدت وكأنها تنبع من أعمق أعماق مخه ، وليس من حلقه فحسب ..

ومع صرخته ، ارتفعت يداه تمسكان جانبى رأسه فى قوة ، قبل أن يسقط أرضًا ، فى القاعة الخاصة الاحتياطية للفريق ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

ـ يا إلهى !! (نور) ؟!

اندفعت مع الجميع نحوه ، وانحنى الدكتور (حجازى) يفحصه ، فى توتر بالغ ، وهو يهتف :

ـ (نور) .. ماذا أصابك يا ولدى ؟!

وكادت (نشوى) تنفجر باكية ، وهى تردّد فى ارتياع :

ـ لا .. ليس أبى .. ليس أبى ..

وغمغم (رمزى) وقد امتقع وجهه بشدة :

ـ رباه ! تُرى هل ..

أشار إليه (أكرم) فى صرامة عصبية ، قائلاً :

ـ إياك أن تنطقها .

ومع آخر حروف كلماته ، أشار (نور) بيده ، وهو يقول ، بصوت بدا أكثر شحوبًا من وجهه :

ـ أنا بخير .

قالها ، وحاول أن ينهض فى صعوبة ؛ لتهدئة الجميع ، إلا أن ملامحه المتوترة ، وشحوبه الشديد ، وذلك الاضطراب الواضح فى حركته ، وفى فقدانه لتوازنه أثناء النهوض ، كانت كلها تشف عما يعانيه ، حتى إن الدكتور (حجازى) سأله فى قلق شديد :

ـ هل حاول ذلك الوحش اقتحام وجهك ؟!

دفع إليه (أكرم) مقعدًا ، وهو يقول فى غضب :

ـ لو فعلها سأقسم ألا يهدأ لى بال ، قبل أن أظفر به .

جلس (نور) على ذلك المقعد فى إرهاق عجيب ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يغمغم :

ـ لم يكن هو .

هتفت به (سلوى) ، فى دهشة قلقة :

ـ من إذن ؟!

التقط نفسًا آخر ، وهو يغمغم :

ـ إنه اتصال من هناك .

ثم أشار بيده إشارة مبهمة ، قبل أن يتابع فى تهالك :

ـ من (التبت) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ مرة أخرى ؟!

وتساءلت (نشوى) مرتجفة :

ـ وهل كان اتصالهم العقلى بك عنيفًا إلى هذا الحد ، هذه المرة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى أسى :

ـ نعم .. كان اتصالاً أخيرًا .

سأله (رمزى) فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

التقط (نور) نفسه مرة أخرى ، وقال فى مرارة :

ـ لقد ظفر بهم ذلك الوغد .

جوابه هذا أطلق فى أجسادهم قشعريرة قوية ، قبل أن تتساءل (سلوى) ، وهى ترتجف للجواب مقدّمًا :

ـ هل تعنى أنه قد ..

قاطعها (نور) مكررًا ، قبل أن تتم عبارتها :

ـ لقد ظفر بهم .

تراجعت (سلوى) مذعورة ، وقد استوعبت الأمر ، فى حين رفعت (نشوى) كفيها إلى وجهها ، وتمتمت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (رمزى) ، فقد تساءل ، والفضول يغلب انفعاله :

ـ هل شعرت بهذا يا (نور) ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، قبل أن يجيب فى توتر شديد .

ـ بل رأيته .

ثم أغلق عينيه ، وكأنما يحاول محو الصورة من ذهنه ، وهو يتمتم :

ـ ويا للبشاعة !

همَّ (أكرم) بقول شىء ما ، ولكن (نور) استطرد فجأة بحزم شديد ، وكأنما استعاد نشاطه الطبيعى دفعة واحدة :

ـ لقد فقدنا درعنا .

ردّدت (سلوى) ، فى قلق شديد :

ـ درعنا .

نهض فجأة ، مستعيدًا كل نشاطه ، وهو يقول :

ـ نعم يا (سلوى) .. درعنا .. الدرع العقلى ، الذى كان يُطلق تلك الموجة المضادة ، التى تحجِّم نشاط وقوة عقل ذلك الوحش الرهيب .

امتقع وجه الدكتور (حجازى) هذه المرة ، وهو يقول :

ـ رباه ! كيف سنواجهه إذن ؟! لقد كاد يفتك بنا جميعًا ، لولا تلك الموجة المضادة !!

وهتف (أكرم) ، وهو يسحب مسدسه بحركة غريزية :

ـ أتعنى أنه لو هاجمنا الآن ، فسنكون معدومى الحيلة أمامه ؟!

وقبل أن يجيبه (نور) ، قالت (سلوى) فى صرامة :

ـ كلاَّ بالتأكيد .

استدار إليها الكل فى تساؤل ، ولكن (نشوى) أضافت فى حزم :

ـ أجهزتنا رصدت تلك الموجة المضادة القوية ، وسجلتها على أجهزة الموجات فائقة القصر ، وبتعديل بسيط فى البرنامج ، يمكن أن نجعلها تنطلق ، فور استقبال الأجهزة لموجته القوية .

سألها (نور) فى اهتمام شديد :

ـ أيمكنكما هذا بالفعل ؟!

أشارت (سلوى) بيدها ، وهى تقول فى شىء من الزهو :

ـ إنك تتحدّث إلى خبيرة اتصالات وخبيرة كمبيوتر ، على أرفع مستوى معروف ، فى عالمنا كله ، والأمر سيحتاج منا إلى عشر دقائق فحسب ، و ...

قاطعها (نور) بمنتهى الصرامة :

ـ ابدءا عملكما فورًا إذن ؛ فلسنا ندرى متى سينطلق ذلك الوحش ، بعد أن حقق انتصاره هذا ، وامتلك السيطرة التامة على الموقف ، ولكل ثانية ثمنها الآن .

اندفعت (سلوى) و (نشوى) لتنفيذ الأمر ، وراحت كل منهما تعمل بأقصى سرعتها على أجهزتها ، فى حين التفت (نور) إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ هذا ينطبق علينا أيضًا .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه بمنتهى الحزم :

ـ لكل ثانية ثمنها .

سأله (أكرم) بكل الاهتمام والانتباه :

ـ ما الذى ينبغى أن نفعله بالضبط ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا فى حسم :

ـ أن نتسلل داخل مركز الأبحاث العسكرية .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، ولكن (نور) تابع بنفس الحزم :

ـ أريد أن أعرف ما الذى يدور هناك .. على نحو غير رسمى .

أجابه (أكرم) فى سرعة ، وهو يلوّح بمسدسه :

ـ أنا رهن إشارتك .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم عصبى :

ـ ولكننى أكرّرها لك يا (نور) .. مركز الأبحاث العسكرية منطقة محظورة ، بالغة الأهمية والخطورة ، والتسلّل إليها شبه مستحيل ، حتى بالنسبة لأى رجل أمن .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ أنت قلتها يا صديقى .. بالنسبة لأى رجل أمن ، ولكننا لسنا رجال أمن عاديين .

وأشــار بإبهامه إلى (سلوى) و(نشـوى) خلف ظهره ، مستطردًا فى صرامة :

ـ نحن رجال مخابرات علمية .

ارتفع حاجبا (أكرم) لحظة ، ثم عـادا ينخفضـان ، وهـو يبتسم فى حماس ، مغمغمًا :

ـ فهمت يا (نور) .

ونقل الدكتور (حجازى) بصره بينهما فى دهشة ، وعقلـه يتساءل فى حيرة : ماذا يقصد (نور) بعبارته الأخـيرة هـذه بالضبط ؟!

ماذا ؟!

ماذا ؟!

★ ★ ★

« كيف دخلت إلى هنا ؟! »

هتف اللواء (عماد) بالسؤال ، فـى اضطـراب شـديد ، وهـو يحدّق فى العميد (ماهر) ، الذى تحـرك فـى هـدوء عجيـب داخل الحجرة ، ورمقه بعينين تتألقان علـى نحو مخيف ، وهـو يجيـب بصوت عميق رهيب :

ـ لا يوجد جدار ، فى عالمك كله ، يمكنه احتجازى ، أو منعى من الوصول إلى ما أريد .. ومن أريد .

اتسعت عينا اللواء (عماد) وتسلَّلت سبابته إلى زر الإنذار ، المختفى فى إطار مكتبه ، وهو يقول :

ـ وماذا عن أجهزة الأمن ، والـ ...

قاطعه بنفس الصوت المخيف :

ـ كل أجهزتكم المتطوِّرة صُنِعَتْ لتحمى الأجساد .

ثم مال نحوه ، وأشار إلى رأسه مباشرة ، مضيفًا :

ـ وليس العقول .

انتفض جسد اللواء (عماد) فى عنف ، واتسعت عيناه حتى بلغتا مداهما ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ يا إلهى ! أنت لست (ماهر) .

تألَّقت عينا الواقف أمامه أكثر وأكثر ، وبدت ابتسامة وحشية رهيبة ، دون أن يجيب ، فتابع اللواء ، وصوته يرتجف بشدة :

ـ إنك هو .

مع قوله ، تموَّج جسد (ماهر) ، وبدا وكأنه قد تحولَّ إلى دخان ، راح يتطاير تدريجيًّا فى الحجرة ، وصوته الرهيب يقول :

ـ بالضبط ..

ثم تشكَّل الدخان مرة أخرى ، فى شكل عملاق هائل بلا ملامح ، كاد رأسه يلامس سقف الحجرة ، وهو يضيف :

ـ أنا هو .

شعر اللواء (عماد) بقلبه ينتفض بين ضلوعه ، وبأنفاسه تتلاحق على نحو عجيب رهيب ، وهو يقول بصوت مرتعد :

ـ ما .. ماذا تريد منى ؟!

تبدَّد الدخان مرة أخرى ، واستعاد ذلك الشىء هيئة (ماهر) ، وهو يجيب بذلك الصوت الرهيب :

ـ بل ماذا تريد أنت منى ؟!

ردَّد اللواء (عماد) ، وقلبه يواصل الخفقان فى عنف :

ـ ماذا أريد ؟!

زمجر ذلك الشىء فى وحشية ، وهو يقترب منه ، قائلاً :

ـ نعم .. ماذا تريد منى ؟! لماذا فعلت بى هذا ؟! لماذا أعدتنى إلى ما أنا عليه ؟! لماذا ؟!

تنحنح اللواء (عماد) ، والتقط نفسًا عميقًا ، ربما للسيطرة على مشاعره وانفعالاته ، ومخاوفه أيضًا ، قبل أن ينقر سطح مكتبه فى عصبية ، مجيبًا بصوت ، حاول أن يجعله صارمًا :

ـ كان من المستحيل أن نهدر سلاحًا كهذا .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى عصبية شديدة :

ـ حتى ولو رفض الكل هذا .

عاد ذلك الشىء يدور فى الحجرة ، فى هيئة (ماهر) ، وهو يقول :

ـ كان قرارك وحدك إذن .

أجابه اللواء (عماد) ، وهو يتابعه بنفس العصبية ، وسبَّابته تستعد لضغط زر الإنذار والطوارئ :

ـ هناك دومًا من ينبغى أن يتخذ القرارات الحاسمة ، عندما تتعلَّق الأمور بأمن الدولة ، و ...

قاطعه ذلك الشىء بضحكة وحشية ساخرة ، وهو يقول :

ـ أمن الدولة ؟! من تحاول أن تخدع هنا يا رجل ؟! أنسيت أننى أقرأ عقلك مباشرة .

قالها ، وواصل تحركه ، ليوليه ظهره ، وهو يضيف ، بنفس الوحشية الساخرة :

ـ تمامًا كما أقرأه الآن ، وأعلم أنك ستقدم على أكبر حماقة فى حياتك كلها ، بالضغط على ذلك الزر .

انتفض جسد اللواء (عماد) مرة أخرى ، وتراجعت سبَّابته عن زر الإنذار فى سرعة ، فأطلق ذلك الشىء ضحكة ساخرة أخرى ، وقال :

ـ كيف تفكِّر حتى فى فعلها .

ثم استدار إليه ، بعينين تحملان وحشية الدنيا كلها ، مستطردًا .

ـ كيف تجهل قدرات شىء أمرت بصنعه ؟!

انعقد لسان اللواء (عماد) فى حلقه ، مع اضطرابه الشديد ، وبحثه عن جواب للسؤال ، ثم لم يلبث أن وجد نفسه يسأل :

ـ أين (ماهر) الحقيقى ؟!

لم يكد السؤال يتجاوز شفتيه ، حتى بدا له شديد الحماقة والسخافة ، إلى الحد الذى جعله يتراجع فى مكتبه أكثر ، وذلك الشىء الوهمى ، الواقف أمامه يجيب :

ـ (ماهر) لم يعد له وجود .

قال (عماد) فى توتر :

ـ ولكننى كنت أتحدَّث إليه ، عبر هاتف الفيديو ، منذ ساعة واحدة ، ورأيته سليمًا معافى ، و ...

قاطعه ذلك الشىء ، فى صرامة وحشية :

ـ أنت ترى ما تريد أن تراه .. أو ما يريد عقلك أن يراه .. أليس كذلك ؟!

سأله اللواء (عماد) ، وصوته يضطرب أكثر وأكثر :

ـ من يدير مركز الأبحاث العسكرية الآن إذن ؟!

بدا صوت ذلك الشىء رهيبًا أكثر مما ينبغى ، وهو يقول :

ـ من برأيك ؟!

انتفض جسد اللواء (عماد) ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تعنى أنه ، عندما ذهب وزير الدفاع ، مع القائد الأعلى ، لإجراء التفتيش المفاجئ هناك ، كانا يريان ما أردتهما أن ..

قاطعه ذلك الشىء ، ووحشيته تتزايد :

ـ لم تجب سؤالى بعد .

حدّق اللواء (عماد) فيه بتوتر بالغ ، فتابع بنفس الوحشية :

ـ ماذا تريد منى بالضبط ؟!

تراجع اللواء (عماد) فى مقعده أكثر وأكثر ، وقد بدا له السؤال عجيبًا ، عندما ينطقه شىء كهذا ..

شىء قوى رهيب ، لا تستطيع قوة فى الأرض أن تهزمه..

أو حتى توقفه ..

شىء كان يمكن أن يغوص فى أعمق أعماق عقله ، وينتزع منه كل ما يريد ، دون الحاجة إلى إلقاء سؤال واحد ..

بل كان يمكنه أن يحطم عقله كله ، ويسحقه سحقًا ، لولا أن ..

فجأة ، توقّفت أفكاره ، وتجمّدت عند نقطة واحدة ..

وزمجر ذلك الشىء فى وحشية ..

وحشية بلغت أكبر مدى لها ، منذ تواجده على هذه الصورة الجديدة ..

لقد قرأ عقل اللواء (عماد) ..

وأدرك ما أدركه ..

وما انتبه إليه ..

ولقد اعتدل اللواء (عماد) فى مقعده ، وبدا حاسمًا صارمًا ، مستعيدًا لكل نشاطه وثقته ، وهو يقول :

ـ هيا .. اقتلنى .

زمجر ذلك الشىء مرة أخرى ، وهو يبدِّد جسد (ماهر) ، ويتحوَّل إلى تلك الهيئة العملاقة ، وكأنما يحاول بث الخوف فى نفس نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، الذى بدا هادئًا متماسكًا ، على نحو لا يتناسب قط مع الموقف ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، فى وقفة عسكرية حازمة ، متابعًا .

ـ لماذا تتردّد .. إننى أتحداك .. بل وأسخر منك ومن قدراتك أيضًا .. هل ستسمح بوجود شخص يعاملك بهذا الازدراء ، الذى عاملك به الجميع قديمًا ؟!

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

ـ هيا .. لا تتردَّد .. اقتلنى .

أطلق ذلك الشىء الرهيب زمجرة هائلة ، وانقضّ على اللواء (عماد) بكل قوته :

ولكن هذا الأخير لم يتراجع .

بل ولم يتحرّك قيد أنملة ..

لقد ظلّ هادئًا متماسكًا فى قوة وثقة ، على الرغم من تلك الانقضاضة الوحشية الرهيبة ..

وتلاشى جسد ذلك العملاق ، كما لو أنه سحابة من دخان ، ارتطمت بجدار من الثلج ..

وفى بطء شديد ، عادت صورة (ماهر) الوهمية تتشكل ..

وفى هذه المرة ، كانت هادئة ، مستكينة ، دون ابتسامات ساخرة ، أو نظرات وحشية ..

وهنا ، ابتسم اللواء (عماد) ابتسامة واثقة ظافرة ، وهو يعود إلى ما خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ عظيم .. الآن يمكننا أن نتحدَّث بهدوء أكثر .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

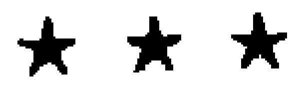
ـ وبندّية أكثر .

قالها ، وأطلق ضحكة ظافرة طويلة ..

ضحكة تحتاج إلى ألف سؤال ..

وألف جواب ..

على الأقل .





٢ ـ التجربة الرهيبة ..

« هذا البرنامج شديد التطور ، يطلقون عليه اسم (المخ)..»

نطقت (نشوى) العبارة ، وهى تشير إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، فتطلَّع الجميع إلى البرنامج ، الذى انتزعته (نشوى) بمهارة مذهلة ، من أعمق أعماق شبكة المعلومات بالغة السرية ، وغمغم الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ وما الذى يفعله هذا البرنامج بالضبط ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ يخزِّن الذكريات .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يخزِّن الذكريات ؟! هذا مستحيل يا (نشوى) .. ذكريات الإنسان ليست شيئًا محدودًا يمكن تخزينه .. الذكريات عبارة عن شبكة شديدة التعقيد ، تمتد عبر كل خلايا المخ بلا استثناء ، فتعرُّف الذاكرة على شىء ما ، هو نتاج تعاون دقيق ، بين الذاكرة البصرية ، والسمعية ، وحاسة اللمس ، والشم ، وكل وسائل التعرُّف الأخرى(*) .

(*) حقيقة .

قالت (نشوى) فى حزم :

ـ كل هذا يقوم البرنامج بتخزينه .

ثم اعتدلت ، وبدأت تحرّك يديها ، لشرح الأمر بدقة أكثر ، متابعة :

ـ هل تذكرون تلك الخوذة القديمة ، التى تستخدم أشعة جاما ، لترجمة مشاعر الإنسان وقراراته ، والتى استخدموها فى إحدى الأزمنة ؛ كجزء من برامج الألعاب الإليكترونية ، ثم تطوَّرت فيما بعد ، فى نهايات القرن العشرين ؛ لتساعد الطيارين على تحديد أهدافهم ، والتصويب نحوها ، وإطلاق القذائف أيضًا ، عن طريق ترجمة أوامرهم العقلية مباشرة ، فى ظل السرعة الرهيبة ، التى تنطلق بها مقاتلاتهم(*) ؟!

قالت (سلوى) فى اهتمام :

ـ نعم .. أذكر هذا جيِّدًا ، وأذكر أيضًا أنهم قد كشفوا تأثيراتها السلبية على العقول ، فى بدايات القرن الحادى والعشرين ، وتسبُّبها فى إضعافَ الذاكرة على المدى الطويل ، فأوقفوا استخدامها ، ولجئوا إلى تقنية مختلفة تمامًا .

أشارت (نشوى) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ بالضبط .. لقد أوقفوا استخدام الخوذة العقلية ، فى

(★) حقيقة .

الأسلحة الجويّة ، ولكن العلماء واصلوا تطوير برنامجها ، حتى أصبح فى إمكانها ، ليس ترجمة الأوامر العقلية إلى موجات رقمية فحسب ، ولكن رصد وتسجيل كل الإشارات المخية ، مهما بلغت ضآلتها ، ومع التكنولوجيا وتطوراتها ، أصبح فى إمكانهم تسجيل وتخزين الذاكرة البشرية أيضا .

غمغم (رمزى) :

ـ رباه ! التطوّر العلمى يفزعنى فى بعض الأحيان .

أما (نور) فسأل (نشوى) فى اهتمام شديد :

ـ هل تعتقدين أنهم استخدموا هذه التقنية ، لرصد كل قدرات عقل ذلك المسخ ، مع ذاكرته المختزنة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول فى انفعال :

ـ شبكة المعلومات الرياسية لم تذكر هذا ، ولكنه أمر منطقى للغاية ، فلو أنهم استخدموا تلك التقنية ، فى انتزاع وتخزين قدرات عقل ما ، ثم وضعوا كل هذا فى برنامج ، يسعى إلى تطوير وإطلاق تلك القدرات ، فمن الممكن أن يتسبَّب هذا فى وجود ذلك الشىء .

قال الدكتور (حجازى) فى حيرة متوترة :

ـ ولكنــه ينطلق بإرادة حرة تمامًا يا بنيتى ، وحتى أحدث وأعقد تكنولوجيا الذكاء الصناعى ، لم تنجح بعد فى إنتاج برنامج رقمى ، يمكنه أن يمتلك إرادة منفردة ومستقلة كهذه .

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ ربما فى مجال الأبحاث المدنية يا دكتـور (حجازى) ، وليس فى تكنولوجيا الأبحاث العسكرية ، التى تسبق عادة كل الأبحاث الأخرى بعدة مراحل ؛ لضمان السيطرة على كافة الأمور ، ولقد كان الهدف ، من تطوير هذا البرنامج ، هو الحفاظ على قدرات ومواهب وذاكرة العسكريين الكبار ، وبرمجتها فى أجهزة كمبيوتر عسكرية خاصة ، بحيث يمكنها المشاركة فعليًّا فى المعارك ، وإصدار الأوامر والقرارات للجنود ، بناء على تطورات الموقف على أرض المعركة ، وخبراتهم السابقة فى القتال .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

ـ يا للسخافة ! لست أتصوّر نفسى قط فى ميدان قتال ، أواجه خصمًا بشريًّا ، وأتلقّى أوامرى من جهاز كمبيوتر !!

قالت (سلوى) فى خفوت :

ـ إنها لن تكون عندئذ أجهزة كمبيوتر عادية ، بل عقول إليكترونية جبّارة ، و ...

قاطعها (أكرم) فى صرامة :

ـ ولو .. فى ميدان القتال ، لا يمكننى أن أثق إلا فى هذا ، وذاك .

قالها ، وأشار إلى رأسه ومسدسه ، فتمتم (نور) :

ـ كلنا هذا الرجل .

ثم استطرد فى حزم :

ـ ولكن أين يجرون أبحاث مشروع (المخ) هذا ؟!

تنهَّدت (نشوى) ، قائلة :

ـ للأسف ، لم تشر شبكة المعلومات الرياسية السرية إلى هذا قط ، مما يوحى بأن الأمر بالغ السرية ، إلى حد يتجاوز القواعد الرئيسية .

مطَّ (نور) شفتيه فى أسف ، إلا أنها تابعت فى حزم :

ـ ولكن لدى نظرية .

سألها (أكرم) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، وازدردت لعابها ؛ لترطيب حلقها ، والسيطرة على أعصابها ، قبل أن تجيب :

ـ عندما راجعت قائمة الأبحاث والتجارب العسكرية ، التى أرسلها لى القائد الأعلى ، كانت كلها مطابقة ، ولكنها لم تحو أية إشارة لتلك التجربة ، التى أخبرك عنها القائد الأعلى يا أبى ، والتى يجرونها فى القاعة الرئيسية ، لمركز الأبحاث العسكرية ، حول الدروع المقاومة للانفجارات .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين بالضبط ؟!

أجابته فى حزم منفعل :

ـ أعنى أن ما رآه وزير الدفاع ، والقائد الأعلى ، فى قاعة التجارب الرئيسية ، فى مركز الأبحاث العسكرية ، والذى أشير إليه ، باعتباره تجربة حول دروع مقاومة للانفجار ، كان فى الواقع التجربة التى نبحث عنها ، والتى نعانى منها .. تجربة (المخ) .

سرت قشعريرة قوية ، فى أجساد الجميع ، مع قولها هذا ، ثم التفت (نور) إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ أعتقد أن هذا يحسم الأمر ، بالنسبة لمشروعنا الخاص .. أليس كذلك ؟!

اعتدل (أكرم) فـى حزم ، وشـد قامتـه ، ورفـع مسدسـه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

قال الدكتور (حجازى) فى عصبية :

ـ أما زلتما تصرّان على القيام بهذه المغامرة الجنونية .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بكل تأكيد يا دكتور (حجازى) .. ربما كانت مغامرة جنونية ، ولكن لم يعد لدينا الخيار .

واستدار إلى (سلوى) و(رمزى) و(نشوى) ، مضيفًا :

ـ كفريق .

ومرة أخرى ، لم يفهم الدكتور (حجازى) ما يعنيه هذا ..

لم يفهم أبدًا ..

★ ★ ★

بدا الدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، شديد التوتر ، وهو يدلف إلى حجرة القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لقد تلقينا الرد ، من مركز الأبحاث العسكرية ، بخصوص استدعاء الجندى (وائل رءوف) والعميد (ماهر) .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ ماذا قالوا ؟!

التقط الدكتور (جلال) نفسًا عميقاً وهو يجيب :

ـ لقد رفضوا الحضور .

هتف القائد الأعلى فى غضب :

ـ رفضوا ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال فى توتر :

ـ رفضوا بناءً على أوامر مخابرات رياسة الجمهورية ، التى أرسلت إلينا إشارة بدورها ، تقول : إن استدعاء أى شخص ، من مركز الأبحاث العسكرية محظور ، إلا بالنسبة لمخابرات الرياسة وحدها ؛ لأن هذا يتعارض مع الأمن القومى .

ردَّد القائد الأعلى ، فى استنكار غاضب :

ـ الأمن القومى ؟! وكيف هذا ؟!

وبدا غاضبًا بشدة ، وهو يتابع :

ـ المفترض أننا أحد الجهات العليا ، المسئولة عن حماية الأمن القومى ، وليس من المنطقى حظر تعاملنا مع أى شخص ، مهما بلغت رتبته ، أو بلغ موقعه ، لحماية الأمن القومى !!

وانعقد حاجباه فى شدة ، مع استطرادته :

ـ إلا لو كان هناك جانبان للأمن القومى .

قالها ، واستغرق فى التفكير بعض الوقت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ من وقَّع إشارة مخابرات رياسة الجمهورية .

ألقى الدكتور (جلال) نظرة على شاشة كمبيوتر الجيب ، قبل أن يقول فى اهتمام :

ـ اللواء (عماد وجيه) ، نائب رئيس المخابرات هناك .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ أريد معرفة كل البيانات اللازمة عن اللواء (عماد) هذا .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ سيِّدى القائد .. أنت تعلم جيِّدًا أننا نستطيع معرفة بيانات أى شخص ، فى (مصر) كلها ، فيما عدا أفراد مخابرات رياسة الجمهورية ، فهم فئة خاصة للغاية ، محاطة بسرية بالغة ، لا يحق لأى مخلوق كشفها ، إلا السيِّد رئيس الجمهورية وحده دون سواه .

مطّ القائد الأعلى شفتيه بضع لحظات ، ثم قال فى اهتمام :

ـ وماذا عن صورهم ؟!

تساءل الدكتور (جلال) فى حذر :

ـ ماذا عنهم ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـ هل يمكننا مطالعة صورهم دون بياناتهم ؟!

تساءل الدكتور (جلال) ، وقد تضاعف حذره :

ـ ويم يمكن أن يفيد هذا ؟!

مال القائد الأعلى إلى الأمام ، قائلاً :

ـ عندما بحث (نور) وفريقه عن بيانات العسكريين ، اللذين اقتحما المشرحة ، واستوليا على جثة ذلك المسخ ، الذى واجه جزءًا منه الآن ، أمكنهم معرفة أحدهم ، والذى لقى مصرعه فيما يعد فى وحشية ، وعجزوا عن معرفة الثانى ، الذى يملكون صورة تكوينية له بدون بيانات ، ولدينا هنا اسم لشخص ، يمنعنا من فحص رجلين ، نعتقد أن لديهما ما يمكن أن يحل اللغز ، وكل ما أسعى إليه هو ربط الاسم بالصورة .

غمغم الدكتور (جلال) :

ـ آه .. فهمت .

واستغرق فى التفكير بدوره لبضع لحظات ، قبل أن يقول :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى اختراق شبكة المعلومات السرية لمؤسسة الرياسة ، وهذا أمر بالغ الحساسية والخطورة .

عاد القائد الأعلى يتراجع فى مقعده ، وهو يقول :

ـ ربما .. ولكن لدينا من يمكنه القيام بهذا .

وانعقد حاجباه فى قوة ، وهو يضيف :

ـ (نشوى) ، ابنة (نور) .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ، كانت (نشوى) تقول لوالدها وزميله (أكرم) ، فى جدية متوترة :

ـ البرنامج الذى قمنا بتطويره ، أمى وأنا ، لن يمكنه تأمين الحماية اللازمة لكما ، ولكنه سيحد من قوة تأثير ذلك الوحش على عقليكما .

غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ أمر منعش بحق .

ناولته (سلوى) سماعات أذن ، تشبه تلك التى يستخدمها الشباب ؛ لسماع أغنيات الأجهزة الرقمية المحمولة ، قائلة :

ـ لقد أحطنا مقرنا هذا بحاجز قوى ، من تلك الموجة المضادة ، يمكنه أن يعمل طوال الوقت ، ليؤمّن لنا بعض الحماية ، من محاولاته لاختراق عقولنا ، وسيحمى (مشيرة) أيضًا من تأثيراته ، حتى تستعيد وعيها ، ولكن بالنسبة لكما ، سيكون عليكما وضع هذه السماعات على أذنيكما وتشغيلها طوال الوقت ، ما دمتما خارج هذا المكان .

سألها (نور) ، وهو يتناول سمّاعته بدوره :

ـ هل ستمنعه من السيطرة على عقلينا فحسب ، أم أنها يمكن أن تمنعه من رصدنا أيضًا ؟!

هزّت (سلوى) رأسها ، قبل أن تجيب فى ضيق :

ـ لا هذا ولا ذاك للأسف .. إنها ستخفّف من تأثير عقله على عقليكما فحسب .

سألها (أكرم) ، فى شىء من العصبية :

ـ وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ بأن يمنعه من دفع أحدكما إلى قتل الآخر على الأقل .

انعقد حاجباه فى شدة ، وبدا له أنها تشير إلى ما فعله مع (نور) من قبل ، فأشاح بوجهه فى توتر ، وتمتم :

ـ بالتأكيد .

ربّت (نور) على كتفه ، فى محاولة لتهدئة انفعاله، وهو يسأل (نشوى) فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين أنه بإمكانك لعب دورك جيّدًا ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ الأمر ليس بالصعوبة التى تتصورّها يا أبى .. سأنتظر إشارتكم ، ثم أقتحم شبكة المعلومات العسكرية ، ومنها إلى نظام التأمين الإليكترونى ، فى مركز الأبحاث ، وأوقف عمله لدقيقة كاملة ، يمكنكم خلالها التسلّل إلى المكان .

غمغم :

ـ عظيم .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث صفير قصير من جهاز الكمبيوتر ، الخاص بـ (نشوى) ، فالتفتت هى إليه ، وقالت فى اهتمام :

ـ إنها رسالة من القائد الأعلى .

ضغطت أحد أزرار الكمبيوتر ، لفك شفرة الرسالة ، قبل أن تتابع فى اهتمام أكثر :

ـ لقد أرسل لنا اسم أحد قادة مخابرات رياسة الجمهورية ، ويطلب منا البحث عن بياناته .

غمغم (نور) ، وهو يقرأ رسالة القائد الأعلى بدوره :

ـ أو صورته على الأقل .

التقت عيونهم جميعًا ، مع نهاية عبارته ، وبدا وكأنهم قد استوعبوا تمامًا ما ينشده القائد الأعلى بمطلبه هذا ، وغمغم (أكرم) فى انفعال .

ـ من يدرى ؟! ربما تطابقت الصورة مع الاسم .

غمغمت (نشوى) ، وهى تبدأ عملها على الكمبيوتر بالفعل :

ـ أتعشم هذا .

كان الجميع يتابعون أصابعها ، وهى تتقافز على أزرار الكمبيوتر ، عندما ندت شهقة مكتومة من (مشيرة) ، التى فتحت عينيها فى ضعف ، مغمغمة :

ـ أين أنا ؟!

اندفع (أكرم) نحوها ، واحتواها بين ذراعيه فى حنان ، قائلاً :

ـ أنت هنا يا حبيبتى .. إلى جوارى .. لا أحد ، ولا شىء يمكنه أن يمس شعرة واحدة منك ، ما دمت أنا على قيد الحياة .

حدّقت (مشيرة) فى وجهه ، وكأنها تراه لأوّل مرة ، ثم نقلت بصرها بين وجوه الجميع ، وعيناها تحملان نظرة ذعر عجيبة ، قبل أن تقول بصوت مرتجف :

ـ لقد كان هنا .. أليس كذلك ؟!

أجابتها (سلوى) ، وهى تتحسّس شعرها فى حنان متعاطف :

ـ بلى ، ولكنه لم ينجح فى هزيمتنا .

ارتجف صوت (مشيرة) أكثر ، وهى تقول :

ـ سيعود .

نطقتها فى ثقة شديدة ، جعلت الجميع يتطلّعون إلى بعضهم فى دهشة قلقة ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

ـ وسيجدنا مستعدين لمواجهته .

هزَّت (مشيرة) رأسها فى قوة ، قائلة فى حدة :

ـ أنتم لا تفهمون .

احتضنها (أكرم) فى حنان ، وهمس فى أذنها :

ـ اهدئى يا عزيزتى .. لقد انتهى الأمر بسلام ، و ...

قاطعته فى حدة ، وهى تدفعه بعيدًا عنها :

ـ إنه يتطوَّر فى كل يوم ، ويزداد قوة فى كل دقيقة ، وبعد أن أفقدكم درعكم ، لن يمكنكم الصمود فى وجهه طويلاً .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أفقدنا درعنا ؟! كيف علمت هذا ؟!

حدَّقت (مشيرة) فى وجهه بذعر ، جعله يستطرد فى صرامة :

ـ لقد كنت فاقدة الوعى ، عندما فعل هذا ، فكيف أدركت حدوثه ؟!

تنحنح (رمزى) ، قائلاً :

ـ ربما سمعته أثناء غيبوبتها يا (نور) ، وسجّله عقلها الباطن ، وعندما استعادت وعيها ، ردَّدته فى آلية .

قال الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ هذا يحدث كثيرًا يا (نور) ، ولهذا ينصح الأطباء بالتحدُّث مع المصابين بغيبوبة طويلة ، وشرح كل ما يحدث من تطورات عائلاتهم لهم ، حتى لا تصيبهم صدمة التغيير، عند عودتهم إلى الوعى(*) ..

بدا لهم وكأن (نور) لم يسمع كلمة واحدة مما قالاه ، وهو يكرِّر سؤاله على مسامع (مشيرة) ، فى صرامة أكثر :

ـ كيف عرفت يا (مشيرة) ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ (نور) لقد استيقظت على التو من غيبوبة عميقة ، وليس من اللائق أن تضغط عليها على هذا النحو ، أو ...

« لقد رأيت ما حدث .. »

قاطعته (مشيرة) بالعبارة ، التى نطقتها بحروف شديدة الارتجاف ، فاتسعت عينا (أكرم) ، وهو يحدِّق فيها بكل دهشة الدنيا ، وكذلك فعل الآخرون ، فيما عدا (نور) ، الذى سألها بمنتهى الاهتمام :

ـ ماذا رأيت بالضبط ؟!

(*) حقيقة .

امتقع وجه (مشيرة) ، على نحو عجيب ، وزاغت عيناها بشدة ، وهى تلوِّح بيدها المرتجفة ، قائلة :

ـ رأيته يقتلهم جميعًا .. أولئك الرهبان البوذيين .. لقد أراق دمائهم هناك .. فى معبد وسط الجبال ، التى كست الثلوج قممها ، دون أدنى رحمة .

شهقت (سلوى) ، مغمغمة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نور) فقد قال فى انفعال :

ـ بالضبط .. لقد رأيت ما رأيته أنا .. كلانا رأى الواقعة البشعة نفسها ، ولكن من زاويتين مختلفتين تمامًا .. أنا رأيتها من عيون الرهبان ، وأنت رأيتها من عينيه هو .

انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، وهى تقول :

ـ لا ..

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يحدِّق فى وجهها كالآخرين ، فتابعت وهى ترتجف بشدة ، كريشة فى مهب الريح :

ـ إنه لا يمتلك أية عيون .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يحدّق فيها بدهشة مستنكرة ، وكذلك فعل (رمزى) والدكتور (حجازى) ، فى حين أطلقت (سلوى) شهقة ، امتزجت بصوت (نشوى) ، وهى تقول من خلفهم فى عصبية :

ـ مستحيل !

استدار إليها (نور) و(سلوى) فى قلق ، فتوقفت هى عن العمل ، على جهاز الكمبيوتر ، والتفتت إليهما ، قائلة فى عصبية أكثر :

ـ لا يمكننى دخول شبكة معلومات الرياسة ، ولا حتى شبكة المعلومات العسكرية .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين سألتها (سلوى) فى قلق شديد ، وصوت متوتر :

ـ وكيف هذا ؟!

أطلقت (نشوى) زفرة عصبية ملتهبة ، من أعمق أعماق صدرها ، ثم لوّحت بيدها فى توتر كامل ، مجيبة :

ـ لقد أغلقوا الأبواب .

وبدا صوتها مفعمًا بالمرارة ، وهى تضيف :

ـ كل الأبواب .

وازداد انعقاد حاجبى (نـور) بشدة ؛ فهذا يعنى أن الأمـور تتطوَّر فى سرعة ، وفى ضد اتجاه مصلحة الفريق ..

أو مصلحة العالم ..

أجمع ..

★ ★ ★



٣ ـ الأبواب الخلفية ..

ارتجفت طبيبة الفريق العلمى ، المشرف على تلك التجربة الرهيبة ، فى مركز الأبحاث العسكرية ، وهى تسير فى ذلك الممر الطويل ..

كان ممرًّا مظلمًا ، باردًا كالثلج ، وقد تناثرت فيه الجثث ..

جثث جنود الحراسة القتلى ، التى مزَّقتها رصاصاتهم أنفسهم ، والغارقة فى بركة متجمِّدة من الدماء ، على طول الممر ..

ومع مسيرتها ، راحت الطبيبة ترتجف أكثر ..

وأكثر .

وأكثر ..

وانتفض قلبها بين ضلوعها ، عندما بدا لها أن ذلك الممر الرهيب لا ينتهى أبدًا ..

إنه يبدو كما لو أن أرضيته تمتدّ إلى ما لا نهاية ..

وحاولت هي أن تزيد من سرعتها ..

وأن تتقدَّم ..

وتتقدَّم ..

وتتقدَّم ..

ولكن الممر كان يمتد أمامها ، مهما قطعت منه ، ومهما زادت من سرعة سيرها فيه ..

لذا ، فقد تحوَّل سيرها إلى جرى سريع ..

أو هكذا أرادت ..

ولكن ساقيها لم تطاوعاها أبدًا ..

كانتا ثقيلتين ، مرهقتين ، مكدودتين ، كما لو أنهما قد التصقتا بالأرض ، أو كأن قدميها قد غاصتا فى الدماء ، وتجمَّدتا معها ..

ومع شدة رعبها ، أرادت أن تصرخ ..

أن تستنجد ..

أن تستغيث ..

ولكن الكلمات أيضًا كانت ثقيلة فى حلقها ..

والممر أمامها يمتدّ ..

ويمتدّ ..

ويمتدّ ..

وفجأة ، شعرت بيد ثقيلة ، تمسك كتفها من الخلف ، فانتفض جسدها بمنتهى العنف ، وهى تتلفت خلفها ، و ..

وتجمّدت كل ذرة من كيانها ..

تجمّدت برعب ما بعده رعب ، وهى تحدّق فى ضابط الحراسة ، الذى تغطّى وجهه المزرق بالدم ، وبدا رهيبًا مخيفًا ، مع جانب جمجمته ، الذى نسفته رصاصات جنوده ، وهو يتطلّع إليها بعينين جاحظتين مخيفتين ، قائلاً بصوت عميق رهيب :

ـ هل تحاولين الفرار ؟!

وانتفض جسدها مرة أخرى فى عنف ..

وراحت تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

و ...

« ماذا أصابك ؟! »

انتزعها صوت رئيس الفريق ، من ذلك الكابوس البشع ، فهبَّت جالسة على فراشها ، وجسدها كله يرتعد فى قوة ، وحدَّقت فى وجه الرجل ، بكل رعب الدنيا ، وهو يقول فى قلق شديد :

ـ كنت تصرخين أثناء نومك .

دفنت وجهها بين كفيها ، وأجهشت فى البكاء ، وهى تقول :

ـ رباه ! لقد كان كابوسًا بشعًا .

زفر الرجل فى مرارة ، وهو يجلس على طرف فراشها ، قائلاً :

ـ ما من كابوس ، يمكن أن يفوق ما نحياه بالفعل .

واصلت البكاء ، وهى تتمتم :

ـ صدقت .

أطلق هو زفرة أخرى ، قبل أن يقول فى توتر شديد :

ـ لقد انتهينا من دفن جثث الضباط والجنود .. لا يمكنك أن تتصورى بشاعة هذا الموقف .. لقد كان الـ ...

قاطعته فى ذعر :

ـ لا تصف شيئًا .. لن يمكننى احتمال هذا ..

وافقها بإيماءة من رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فشهقت محاولة إنهاء بكائها ، ثم مسحت وجهها ، وهى تسأله :

ـ هل تعتقد أن مصيرنا سيصبح كمصيرهم ؟!

سرت فى جسده ارتعادة ، لمجرَّد تصوّر الأمر ، وقال بصوت مرتجف :

ـ هذا يتوقَّف على احتياجه إلينا .

غمغمت ، وهى تتلفَّت حولها ، وكأنها تخشى أن يسمعها ذلك الشىء الرهيب المخيف :

ـ المفترض أن يحتاج إلينا طوال الوقت ، فمن المستحيل أن يبقى بدوننا .. لهذا منحنا فترات للنوم والراحة ، عندما أدرك أننا نحتاج إلى هذا .

قال فى همس متوتر :

ـ إنه يتطوَّر باستمرار .

غمغمت :

ـ ليس إلى حد الاستغناء عنا .

هزَّ رأسه ، وهو يطلق زفرة جديدة ، مغمغمًا :

ـ من يدرى !

امتقع وجهها أكثر وأكثر ، والرعب يسرى فى كيانها كله ، خشية أن تنتهى حاجة ذلك الشىء إليهم ، فيقضى عليهم بلا رحمة ، وتساءلت فى خفوت شديد :

ـ أى مدى بلغه ، أثناء فترة نومى ؟!

قال فى أسى واضح :

ـ إنه ينطلق الآن بمنحنيات معكوسة .

هتفت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! لقد تجاوز الحد الأقصى بالفعل .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ وما زال يتطوَّر .

ردّدت فى رعب :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

زفر الرجل مرة أخرى ، ثم نهض ، وهو يلقى نظرة على ساعته قائلاً فى توتر :

ـ أعتقد أن موعد نوبة العمل قد اقترب ، وعلينا أن نتجه إلى قاعة الأبحاث الرئيسية ، خلال دقيقتين فحسب .

نهضت بدورها ، وهى تسأله فى عصبية :

ـ أهو هنا ؟!

بدت عليه الدهشة ، وهو يجيبها :

ـ إنه دومًا هنا .

قالت فى توتر :

ـ لست أعنيه هو ، وإنما طاقته .

أطلّ التساؤل من عينيه ، فتابعت هامسة :

ـ عندما تبلغ منحنياته أقصاها ، يكون عادة خارج حدودنا هنا .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدرس كلماتها هذه ، فتابعت بنفس الهمس المتوتر :

ـ لقد لاحظت أن استجاباته الداخلية تبلغ أدناها ، عندما تنطلق منحنياته إلى أقصاها .

تمتم ، وهو يفكر فى عمق :

ـ هذا صحيح .

لوّحت بيدها ، قائلة :

ـ إنه لا يكون هنا إذن .. أعنى فعليًّا .

رفع رئيس الفريق عينيه إليها ، وهو يقول :

ـ نظرية مدهشة .

ثم شرد ببصره بعيدًا ، مع استطراداته :

ـ ومفيدة للغاية .

ارتجف جسدها ، وهى تسأله :

ـ فيم تفكّر ؟!

أدار عينيه إليها ، وهو يقول فى حزم ، فارقه طوال الفترة السابقة :

ـ من الأفضل ألا تعرفى فيم أفكّر .. عقل واحد أفضل من عقلين .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بنفس الحزم :

ـ فى هذه الظروف على الأقل .

واتسعت عينا طبيبة الفريق عن آخرهما ..

وحدَّقت فيه بارتياع واضح ..

فلقد فهمت بالفعل ما يعنيه ..

فهمته ، وارتجفت كل خلية فى جسدها لفهمه ..

فما يعنيه كان خطيرًا بالفعل ، فى موقف كهذا ..

خطير ورهيب ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

تألَّقت عينا اللواء (عماد) ، فى ظفر واثق ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة ، فى مواجهة تلك الصورة الوهمية للعميد (ماهر) ، وقال :

ـ من حسن الحظ أن راودتنى هذه الفكرة ، عندما كانوا يضعون برنامجك الرئيسى يا هذا .

زمجر ذلك الشىء فى غضب ، ولكن اللواء (عماد) تجاهله تمامًا ، وهو يتابع بنفس الثقة :

ـ لهذا وضعت ذلك الباب الخلفى ، الذى يسمح لى بالسيطرة على كل الأمور ، إذا ما تعقَّدت الأحداث ، وبدا وكأن السيطرة ستفلت من بين أصابعى .

قال ذلك الشيء ، عبر الصورة الوهمية :

ـ وهل تعتقد أن هذا يمكن أن يمنعنى ؟!

هزَّ اللواء (عماد) كتفيه ، وقال :

ـ ليس من السيطرة على العالم بالتأكيد ؛ فهذا هو الهدف الرئيسى لوجودك ، ولمنحك فرصة هذه الانطلاقة الثانية .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بنفس الثقة :

ـ ولكن السيطرة لن تمتدّ إلىَّ ، بأى حال من الأحوال .

زمجر ذلك الشيء مرة أخرى ، وقال :

ـ لن يمنعنى شيء من قتلك ، وقتما أريد .

هزَّ اللواء (عماد) كتفيه مرة أخرى ، فى لا مبالاة ، وهو يقول :

ـ وماذا يمنعك الآن ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، وفرد ذراعيه على جانبيه ، مضيفًا :

ـ هأنذا أقف أمامك مستسلمًا .. هيا .. اقتلنى ..

ماذا تنتظر ؟!

مرة أخرى ، انطلقت تلك الزمجرة الوهمية ، فى عقل اللواء (عماد) ، فأطلق ضحكة ساخرة ، قائلاً :

ـ أنا وأنت ندرك تمامًا هذه الحقيقة يا هذا .. برنامجك الرئيسى يحوى نقطة ضعف قوية ، تمت حمايتها بكل الوسائل الممكنة .. نقطة قد تسمح لك بالتسلّل إلى جزء من عقلى ، وصنع تلك الصورة الوهمية داخله ، إلا أنها تمنعك تمامًا من بلوغ باقى أجزاء عقلى ، أو محاولة إيذائى ، بأى شكل من أشكال السيطرة العقلية الفائقة ..

قال ذلك الشىء فى غضب :

ـ كل شىء يمكن تجاوزه .

مطّ اللواء (عماد) شفتيه ، وهو يعود إلى خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ ليس على نحو مطلق .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا :

ـ ثم إنّه لا يوجد مبرّر واحد لصراعنا .. المفترض أن نتعاون ، لا أن نتقاتل .

سأله ذلك الشيء الوهمى :

ـ وكيف هذا ؟!

مطَّ اللواء (عماد) شفتيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أنت تريد الانتقام من البشر ، وأنا أرغب فى السيطرة عليهم .

قال ذلك الشيء فى مقت :

ـ ليس الانتقام فحسب .. أريد إفنائهم تمامًا .

أشار اللواء (عماد) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ خطأ يا هذا .. لو أفنيتهم فلن تحقّق انتقامك ، الذى تسعى إليه وتنشده .. إذلالهم أكثر إمتاعًا بكثير من قتلهم ، مهما كانت بشاعة القتل .. صدقنى .. السيطرة على العالم متعة ، لا يمكن أن تدانيها متعة فى الوجود .. متعة السطوة تفوق دومًا كل المتع الأخرى بل هى السبيل لمنحك كل المتع الأخرى .

قال الشيء فى وحشية :

ـ لست أنشد أية متع أخرى .

أطلق اللواء (عماد) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ أمر طبيعى ؛ فالإحساس بالمتعة يحتاج إلى جسد يمكنه أن يستمتع ، وأنت بلا جسد ، وفى غيابه تتلاشى كل المتع الحسية ، وتصبح كلها بلا قيمة .

ثم ابتسم ، مضيفًا ، وعيناه تتألقان فى شدة :

ـ لهذا سنتعاون .. اترك لى أنا كل المتع الحسية ، واظفر أنت بمتعة قهر البشر ، وإذلالهم ، وتحويلهم إلى خدم وعبيد ، تحت السيطرة الكاملة .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يضيف :

ـ سيطرتى أنا .

زمجر الشىء مرة أخرى ، فابتسم اللواء (عماد) ابتسامة أكبر ، قائلاً :

ـ أعنى سيطرتنا المشتركة .

لم يصدر أى صوت من ذلك الشىء هذه المرة ، وهو يتطلّع إليه بعينى الصورة الوهمية للعميد (ماهر) ، فتابع فى حزم :

ـ وأعتقد أنه ليس أمامك خيار فعلى ، فى رفض هذا العرض أو قبوله .

صمت ذلك الشىء بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول بصوته المخيف :

ـ ربما .

نهض اللواء (عماد) من خلف مكتبه فى حزم ، قائلاً :

ـ لا يوجد ربما ، وكلانا يعلم هذا جيدًا .

بدت له تلك الصورة الوهمية جامدة باردة ، فعاد يجلس على مقعده الوثير ، وهو يتابع فى صرامة :

ـ المهم أن تواصل عملك ، حتى نضمن السيطرة الكاملة أولاً ، ثم ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أصدرت شاشة الكمبيوتر صفيرًا قصيرًا ، فالتفت إليها اللواء (عماد) بحركة حادة ، وانعقد حاجباه ، وهو يقرأ المعلومات التى تراصت عليها ، قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى تلك الصورة الوهمية ، قائلاً فى صرامة أكثر :

ـ وأنا أعلم الآن ، من أين يجب أن نبدأ .. وكيف .

وكانت هذه العبارة الأخيرة بمثابة توقيع على العقد ..

عقد للمشاركة فى الشرور ..

والآثام ..

والوحشية ..

وإراقة دماء البشر ..

والسيطرة عليهم ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

« القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، يستعد لمقابلة سيادتكم ، يا سيادة الرئيس .. »

اعتدل رئيس الجمهورية على مقعده ، خلف مكتبه العريض الأنيق ، فى نفس اللحظة التى دلف القائد الأعلى فيها إلى حجرته ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فأشار إليه الرئيس ، قائلاً :

ـ ماذا لديك هذه المرة أيها القائد ؟!

لم يشعر القائد الأعلى بالارتياح ، للأسلوب الذى يتحدَّث به إليه الرئيس ، إلا أنه تقدَّم نحوه ، وقال بحزمه التقليدى :

ـ هناك معلومات باللغة السرية ، نحتاج حتمًا إلى معرفتها ، يا سيادة الرئيس .

شبَّك الرئيس أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمنعكم من معرفتها ؟! المفترض أن لديكم مدخلاً لكل أنظمة المعلومات المتاحة !

تنحنح القائد الأعلى ، قبل أن يقول :

ـ ما نطلبه يوجد داخل نظام معلومات محظور ، يا سيادة الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس ، وبدا عليه التفكير العميق ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ هذا المصطلح لا يمكن أن يخرج ، من بين شفتى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، إلا للتعبير عن شبكة معلومات واحدة .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ نعم يا سيادة الرئيس .. إننى أعنى شبكة المعلومات السرية ، لمؤسسة الرياسة .

هزَّ الرئيس رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ وما الذى تحتاجون إلى معرفته بالضبط ؟!

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

ـ كل المعلومات المتاحة ، عن نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، اللواء (عماد وجيه) .

اعتدل الرئيس ، وضغط أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص به ، قائلاً فى صرامة شديدة :

ـ لا يمكن منحك كل المعلومات المتاحة ، عن رجل كهذا ، فى جهاز تجهل بعض أجهزة الأمن نفسها وجوده .. حدِّد ما تريد معرفته عنه بالضبط .

مرة أخرى ، لم يرق أسلوب حديث الرئيس كثيرًا للقائد الأعلى ، وإن مال برأسه ، محاولا معرفة لوحة أزرار جهاز الكمبيوتر ، التى يستخدمها الرئيس ، ولا يصدر عن أزرارها أدنى صوت ، ولكنه لم يكد يفعل ، أو حتى قبل أن يكتمل ميل رأسه ، بدا له صوت ضغط الأزرار واضحًا ، فاعتدل مرة أخرى فى سرعة ، وهو يجيب :

ـ صورته يا سيادة الرئيس .. أريد رؤية صورته ومقارنتها بهذه الصورة .

مدّ يده بتلك الصورة ، التى صنعها كمبيوتر (نشوى) ،

بناءً على ما أدلى به الدكتور (حجازى) ، من مواصفات للضابط الكبير ، ولكن الرئيس ألقى عليها نظرة سريعة ، دون أن يحاول التقاطها ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا ليس اللواء (عماد) بالتأكيد .

ثم تراجع ، مشيرًا إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يستطرد :

ـ هذا هو اللواء (عماد) .

دار القائد الأعلى حول مكتب الرئيس ، وألقى نظرة على الصورة ، التى ظهرت على الشاشة ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ..

فالصورة التى أشار إليها الرئيس ، باعتبارها صورة اللواء (عماد) ، لم تكن تشبه ، من قريب أو بعيد تلك الصورة التى صنعها كمبيوتر (نشوى) ..

وفى صرامة ، قال الرئيس :

ـ وما الذى دفعكم إلى البحث عن بيانات رجل ، فوق مستوى الشبهات ، مثل اللواء (عماد) ؟!

عاد القائد الأعلى إلى موقعه ، قائلا :

ـ لقد حاول عرقلة بحثنا عن تفسير لما يحدث ، فى قضية عودة ذلك الشر الرهيب .

سأله الرئيس بنفس الصرامة :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى ضيق :

ـ لقد أرسلنا فى استدعاء قائد مركز الأبحاث العسكرية ، وأحد جنوده ، لأمر يتعلَّق بالقضية ، ولكنه رفض حضورهما لفحصهما بمعرفتنا .

قال الرئيس فى صرامة :

ـ إنه ليس قراره .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا فى غلظة :

ـ إنه قرارى أنا .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ قرارك أنت ، يا سيادة الرئيس .

تراجع الرئيس فى مقعده ، وهو يقول بمنتهى الصرامة :

ـ نعم هو قرارى أنا .

بدا للقائد الأعلى تصرفات الرئيس غير طبيعية هذه المرة ، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة ، وهو يستمع إليه يواصل :

ـ العميد (ماهر) ، والجندى (وائل) ، يقومان بمهمة خاصة جدًّا ، لحساب مخابرات الرياسة ، فى مركز الأبحاث العسكرية ، ومن المحظور أن تطلع أية جهة على ما يفعلان .

تساءل القائد الأعلى فى ضيق :

ـ حتى المخابرات العلمية ؟!

أجابه الرئيس بمنتهى الصرامة ، وكلماته تحمل لمحة قاسية :

ـ بالذات إدارة المخابرات العلمية .

كان الجواب عجيبًا بالفعل ، إلا أن القائد الأعلى قال فى خفوت :

ـ كما ترى يا سيادة الرئيس .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

ـ أطلب الإذن بالانصراف .

أشار الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. انصرف .

أدّى القائد الأعلى التحية العسكرية ، وأسرع يغادر مكتب الرئيس ، في خطوات سريعة واسعة ، ولم يكد يُغلق الباب خلفه ، حتى تحوّل جسد الرئيس إلى دخان ، تصاعد في الحجرة في بطء ، ليشكّل صورة ذلك العملاق الوهمي ، في نفس اللحظة التي دلف فيها اللواء (عماد) إلى الحجرة ، من باب خلفي ، قائلاً :

ـ عظيم .. هكذا ينبغي أن تسير الأمور .

زمجر العملاق الوهمي ، وهو يقول :

ـ إنها خطوة متسرّعة وغير حكيمة .. انتحال شخصية الرئيس ، يمكن أن يثير عشرات الشبهات ، في هذه المرحلة بالذات .. القائد الأعلى نفسه انصرف من هنا ، تراوده الشكوك في أنه لم يكن يواجه رئيس الجمهورية الحقيقي .

ابتسم اللواء (عماد) قائلاً :

ـ هذا لن يصنع فارقًا كبيرًا .

ثم جلس على مقعد الرئيس ، وتألّقت عيناه على نحو عجيب ، وكأنما حقّق حلمًا قديمًا ، وهو يتابع :

ـ رئيس الجمهورية هنا يملك صلاحيات واسعة للغاية ، بالنسبة لأجهزة الأمن ، على اختلاف أنواعها ، ويمكنه في أية لحظة ، أن يصدر أمرًا بعزل أي رجل أمن في (مصر) ، حتى القائد الأعلى للمخابرات العلمية نفسه .

قال العملاق الوهمى ، فى بطء شديد :

ـ فكرة رائعة .

أشار اللواء (عماد) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ ينبغى أن تدرك جيدًا أنك لست المخ العبقرى الوحيد هنا .

وفى هذه المرة ، لم يجب العملاق ..

بل ولم ينبس ببنت شفة ..

ولكن عينيه تألقتا على نحو عجيب ..

نحو يوحى بأن الأمر يروق له بالفعل ..

أو بأنه قد استوعب الموقف ..

واتخذ قرارًا جديدًا ..

قرار لم يبلغ به اللواء (عماد) ، ولكنه سيصنع فارقًا كبيرًا بالتأكيد ..

فارق جوهرى وخطير ..

للغاية ..

★ ★ ★

هزّت (نشوى) رأسها فى قوة ، وأصابعها تعمل بسرعة محمومة ، على أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لست أدرى كيف فعلوا هذا .. بل وكيف أمكنهم معرفة وجود باب خلفى لشبكة المعلومات العسكرية أساسًا !!

قالت (سلوى) ، وهى تتابع الموقف فى توتر :

ـ ربما كشفوا محاولة اقتحامك للشبكة ، ورصدوا شفرة الدخول من الباب الخلفى ، وسجلوها ، و ...

قاطعتها (نشوى) فى عصبية :

ـ هذا مستحيل يا أمى !! الباب الخلفى شفرة معتمدة تمامًا ، فى شبكة المعلومات ، ويتم التعامل معها ، كما لو أنها شفرة دخول رئيسية ، ولكن لا يتم تسجيل دخولها فى الوقت ذاته ، لأنها لا تستخدم أبواب الدخول التقليدية .. ثم إن أجهزتى قادرة على كشفهم ، فى اللحظة التى يرصدون فيها دخولى إلى شبكتهم .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى بطء وتفكير :

ـ ولكنك تستطيعين تغيير شفرة الدخول ، من الأبواب الخلفية ، وقتما تريدين .. أليس كذلك ؟!

أجابته ، وهى تواصل عملها فى توتر :

ـ بالتأكيد .

سألها ، وحاجباه يزدادان انعقادًا :

ـ أهذا ما حدث ؟! هل قام أحدهم بتغيير شفرة الدخول ، عبر الأبواب الخلفية ؟!

هتفت :

ـ بالضبط .

اعتدل (نور) وبدا صارمًا حازمًا ، وهو يقول :

ـ إنهم لم يرصدوا دخولك إلى شبكتهم ، بأى حال من الأحوال .

توقَّفت (نشوى) عن العمل ، واستدارت إلى والدها فى دهشة متسائلة ، فتابع بنفس الحزم الصارم :

ـ إنه هو .

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما فى ارتياع ، فى حين انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وغمغم الدكتور (حجازى) مبهوتًا :

ـ مستحيل !

أما (مشيرة) فقد راح جسدها ينتفض فى قوة ، وهى تهتف :

ـ نعم .. إنه هو .. هو .. لقدَ اقتحم عقول الجميع ، عندما ظهر هنا ، صورته الوهمية تكوّنت فى عقولكم ، عندما سيطر عليها ، وانتزع منها كل ما يريد من معلومات .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ إذن فهو من أغلق الأبواب الخلفية !

رفعت (مشيرة) سبّابتها ، وهى تقول فى رعب :

ـ لن يهدأ له بال ، قبل أن يصل إلى هدفه .

وبدت أقرب إلى الانهيار ، وهى تضيف :

ـ أن يفنينا جميعًا .

احتواها (أكرم) بين ذراعيه مرة أخرى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ يمكنه أن يحاول ، اما النجاح ، فهو أمر مختلف تمامًا .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لم أره أقرب إليه ، مثل هذه اللحظة .

هتف به (أكرم) في غلظة :

ـ هل تراهن ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً في صرامة :

ـ ليس هذا مجالنا يا (أكرم) .

ثم عاد يلتفت إلى ابنته ، قائلاً :

ـ أما زال بإمكانك اقتحام شبكة المعلومات العسكرية ، وإيقاف عمل أجهزة الأمن بها ، على الرغم من إغلاق الأبواب الخلفية ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ لن يكون هذا ، بالأمر السهل ، أو الـ ...

قاطعها في صرامة ، وكأنه يتحدّث إلى جندي ، في ميدان المعركة :

ـ أما زال بإمكانك هذا ؟!

تطلّعت إلى عينيه لحظة ، في ثبات شديد ، قبل أن تجيب في قوة وحزم :

ـ بالتأكيد .

أجابها بكل الحزم :

ـ ابدئى عملك إذن .

ثم أشار إلى (أكرم) ، مستطردًا :

ـ وسنقوم نحن بعملنا .

هتف (أكرم) ، وهو يتجه إليه فى حزم :

ـ على الرحب والسعة .

تساءل (رمزى) فى اهتمام قلق :

ـ وماذا عن (مشيرة) ؟!

أجابه (نور) بلهجة آمرة :

ـ سيكون عليك أن تتولى أمرها يا (رمزى) ، وأن تدرس حالتها جيِّدًا ، وتبحث عن كيفية الاستفادة من اتصالها العقلى بذلك الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، انبعث فجأة أزيز مميَّز ، من جهاز الاتصال الخاص به ، فرفعه إلى شفتيه فى سرعة ، وهو يضغط زره ، قائلاً :

ـ المقدِّم (نور) يا سيادة القائد الأعلى .

أجابه القائد الأعلى ، فى لهجة تحمل الكثير من التوتر :

ـ (نور) .. لقد التقيت بالرئيس ، ورأيت صورة اللواء (عماد) ، إلا أنها لم تشبه ذلك الضابط ، الذى نبحث عنه .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ وماذا عن الصورة نفسها ، من الممكن أن نطلب من الرئيس مراجعتها ، على ملفات الضباط ، العاملين فى جهاز مخابرات رياسة الجمهورية ، و ...

قاطعه القائد الأعلى بكل التوتر :

ـ لن يتعاون الرئيس معنا أيها المقدِّم .

سأله (نور) فى قلق شديد :

ـ ولماذا يا سيِّدى ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وتوتره يتزايد فى كل لحظة :

ـ فى لقائنا الأخير ، لم يبد لى سيادة الرئيس طبيعيًّا .

انعقد حاجبا (نور) بشدة ، وهو يسأله ، فى كل الحذر :

ـ سيِّدى القائد .. هل تعتقد أن ..

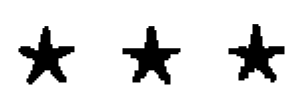
قاطعه القائد .. بكل توتر الدنيا :

ـ الرئيس أوقف كل الاعتمادات ، المخصَّصة لفريقك أيها المقدِّم .

وازداد انعقاد حاجبى (نـور) ، وقلبه يخفق بمنتهى العنف ..

فما قاله القائد الأعلى كان يعنى الكثير ..

الكثير جدًّا .





٤ـ الرئيس ..

« إنه ليس هنا بالتأكيد .. »

تمتم أحد أفراد الفريق العلمى بالعبارة ، وهو يتلفت حوله فى عصبية متوترة ، ثم أشار إلى الشاشة ، التى ظهر فوقها منحنى معكوس ، وهو يستطرد :

ـ الأرجح أنه يقوم بعمل رهيب فى الخارج ، يحتاج منه إلى كل هذه الطاقة .

اختلست طبيبة الفريق نظرة إلى ذلك الشىء الرهيب ، الذى يتوسّط قاعة التجارب الرئيسية ، والذى بدا جامدًا ساكنًا ، على الرغم من الإشارة بالغة القوة ، التى يرسمها على الشاشة ، ثم همست فى خوف :

ـ لا بد أن نتحرّك فى سرعة ، قبل أن يعود .

تساءل عضو فريق آخر فى توتر :

ـ ما الذى تنوون فعله بالضبط ؟!

أجابه رئيس الفريق فى خفوت ، وعيناه تراقبان ذلك الشىء فى حذر :

ـ سنفسد برنامجه .

سأله العضو الأوّل فى عصبية :

ـ وهل تعتقد أن هذا يمكن أن ..

قاطعه رئيس الفريق فى شىء من الحدة ، على الرغم من خفوت صوته الشديد :

ـ ألديك حل آخر ؟!

قالت الطبيبة فى عصبية هامسة :

ـ إننا لن نظل فى هذا العذاب إلى الأبد .

تساءل الأوّل بكل عصبية :

ـ وماذا لو تفجّر غضبه ، وقضى علينا جميعًا ؟!

قال رئيس الفريق فى سرعة :

ـ لا يمكن أن يجازف بهذا .. استمراره بدوننا شبه مستحيل !

سأله العضو الثانى ، فى توتر شديد :

ـ هل تعتقد هذا ؟! إننى أتابع تطوراته ، منذ فترة طويلة ، ولا يمكننى أن أصدّق المدى الذى بلغه ، وأخشى ألا تكون له بنا حاجة الآن .

لهثت الطبيبة ، من فرط الانفعال ، وهى تتساءل فى رعب :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

قال بنفس توتره :

ـ إنه احتمال كبير .

انتقل توتره كله إلى رئيس الفريق ، وهو يقول ، دون أن يرفع عينيه عن ذلك الشيء الرهيب :

ـ لا بد أن نجازف .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـ إنه أملنا الأخير .

ارتجف صوت الطبيبة ، وهى تقول :

ـ نعم .. إنه أملنا الأخير ، وإلا بقينا فى هذا العذاب إلى الأبد .

تمتم عضو الفريق الثانى :

ـ إننى أفضل الموت .

التقط رئيس الفريق نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم متوتر :

ـ مصيرنا هو الموت ، فى كل الأحوال ، سواء جازفنا بهذا أو لم نجازف .

ثم تضاعف توتره ، وهو يلتفت إلى الجميع ، قائلاً :

ـ من سيشارك فى هذا ؟!

أجابته الطبيبة فى حزم :

ـ كلنا سنفعل .

وتمتم عضو آخر :

ـ نعم .. كلنا .

تبادلوا جميعًا نظرة صامتة ، مفعمة بالتوتر والقلق ، قبل أن يغمغم رئيس الفريق :

ـ على بركة اللّه .

وفى صمت تام ، اتجه كل منهم نحو الجهاز الخاص به ، وبدون اتفاق سابق ، ألقى كل منهم نظرة على ذلك الشىء الرهيب ، ثم بدأوا عملهم ..

كانوا جميعًا يجرون تعديلات جوهرية على البرنامج الضخم شديد التعقيد ، الذى يؤمّن الاستمرار لذلك الشىء ..

وفى كل لحظة تمضى ، كانت حماستهم للقيام بهذا العمل تتزايد ..

وتتزايد ..

ولدهشتهم وارتياحهم ، كان البرنامج يتعدّل ..

ويتطوّر ..

ويستجيب ..

وبعد دقائق عشر ، انتقلت خلالها عيونهم ، بين ذلك الشيء القابع في منتصف القاعة ، والشاشة التي تحمل ذلك المنحنى المعكوس ، ألف مرة على الأقل ، بدا من الواضح أنهم قد نجحوا في مهمتهم .

ولم تتبق أمامهم سوى ضغطة زر واحدة ..

وبصوت ارتجف من فرط الانفعال ، التفت إليهم قائد الفريق ، وقال :

ـ الآن ..

ثم ضغط الزر الأخير ..

وخفقت قلوبهم بقوة ..

بمنتهى القوة ..

وبدأت عملية تحميل التطويرات الجديدة في البرنامج الضخم ..

وبعيون ملهوفة ، تابع الكل ذلك الشريط الرفيع ، الذي راح يعبر الشاشة ، من أحد جوانبها إلى الآخر ، معلنًا المضي في عملية التحميل السريعة ..

وبلغ الشريط الجانب الآخر من الشاشة ..

ثم انطلق صفير حاد ، يعلن نجاح عملية تعديل البرنامج ..

ومع ذلك الصفير ، قفزت الطبيبة من مكانها ، هاتفة :

ـ نجحنا .. لقد نجحنا .

استدار رئيس الفريق ، بكل لهفة الدنيا ، يتطلَّع إلى ذلك الشيء الرهيب ، وقلبه يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

فوفقًا لما أجروه من تعديلات ، كان ينبغي أن ينهار ذلك الشيء ، خلال ثلاث دقائق فحسب ..

وكانت تلك الفترة القصيرة تبدو أشبه بدهر ..

دهر كامل من التوتر والقلق .

ولقد خفقت قلوبهم جميعًا ، والثواني تمضي ..

وتمضي ..

وتمضي ..

ومع كل ثانية تمضي ، كانت المؤشرات كلها تؤكِّد أن ذلك الشيء ينهار تدريجيًّا ..

ولكن الشاشة ظلَّت تحمل ذلك المنحنى المعكوس ..

المنحنى الذى يُعلن أن طاقته ما زالت هائلة ، وتتجاوز حدها الأقصى بالفعل ..

تتجاوزه بكثير ..

وفى حيرة بالغة التوتر ، غمغم رئيس الفريق :

ـ لست أفهم هذا .

هزَّ عضو آخر رأسه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كلنا لا يستطيع فهمه .

وفجأة ، وأمام عيونهم جميعًا ، ارتفع ذلك المنحنى ، وتحوَّل إلى خط مستقيم ، ثم عاد يرتفع إلى أعلى ، كأى منحنى طبيعى ، فهتفت الطبيبة ، وقلبها يختلج فرحًا :

ـ إنه ينهار .

ولهث عضو آخر ، وهو يهتف :

ـ رباه ! لماذا لم نفعل هذا منذ البداية ؟! لماذا لم ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، تردّدت فجأة تلك الضحكة الرهيبة فى المكان ..

ضحكة عالية ..

ساخرة ..

شامتة ..

شرسة ..

ووحشية ..

وانتفضت قلوبهم بمنتهى العنف ..

واتسعت عيونهم بكل رعب الدنيا ..

ونهض ذلك العملاق الوهمى ..

نهض من موضع ذلك الشىء الرهيب ، وبدا أكثر ضخامة وارتفاعًا ، وهو يتجه نحوهم ، بخطوات واسعة ، جعلتهم يتراجعون فى رعب ، وأحدهم يصرخ :

ـ لا .. لا تقتلنا .. لا ..

وبوحشية لا مثيل لها ، انقضّ العملاق ..

وانطلقت صرخات الرعب ..

والفزع ..

والألم ..

وفى مشـهد رهيب ، غاصت أصابع العملاق فى صدر أحدهم ، وانتزعت قلبه من بين ضلوعه ، وألقته حتى نهاية الحجرة ، فجحظت عينا الرجل ، وهو يهوى جثة هامدة ، فى حين واصل قلبه المنزوع نبضاته لمرة أو مرتين ، قبل أن تخمد حركته تمامًا ، فى نفس اللحظة ، التى قطعت فيها يد العملاق رأس رجل آخر ، وألقتها فى الركن الآخر ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخ رئيس الفريق :

ــ مستحيل ! مستحيل ! التعديلات التى أجريناها فى البرنامج أكَّدت أن ..

قاطعه العملاق بصوته الرهيب :

ـ عقلك لم ير إلا ما أردت له أن يراه .

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما ، وهو يستدير فى حركة حادة إلى رشاشات الأجهزة جميعًا ..

وبلغ رعبه وذهوله حدهما الأقصى ..

فالشاشات كلها كانت تعلن فشل عملية التعديل ..

أما شاشة تسجيل الموجات ، فكانت تحمل ذلك المنحنى المعكوس ، الذى يشف عن طاقة تجاوزت حدها الأقصى ..

كل ما رأوه إذن ، من نجاح محاولتهم ، كان وهمًا ..

مجرَّد وهم صنعه عقله بعقولهم ..

خدعة ، سقطوا فيها جميعًا ، دون أن يدروا ..

وبكل الرعب والانهيار ، أدار عينيه إلى العملاق ..

وفى اللحظة نفسها ، هوى عليه العملاق بحافة يده الكبيرة ..

وأمام عينى الطبيبة ، التى بلغ منها الرعب أقصى مبلغه ، حتى سقطت منهارة فى الركن ، شقّت ضربة العملاق جسد رئيس الفريق ، من منتصف رأسه ، وحتى ما بين قدميه ..

وانهار جسد المسكين على الجانبين ، والدماء تتفجَّر منه ، فى غزارة ليس لها مثيل ..

ولم تطلق الطبيبة صرخة واحدة ..

لقد انحبست كل صرخاتها فى حلقها ..

فى رأسها ..

فى كيانها كله ..

وفى هدوء شديد ، استدار العملاق إليها ..

ثم ابتسم ..

وهوى قلبها بين ضلوعها ..

بل وتمزَّق فى عنف ..

وبصعوبة بالغة ، تمتمت :

ـ لا .. ليس أنا .. لن يمكنك أن تستمر بدونى .. أنا وحدى يمكننى الحفاظ على وجودك .

أطلق العملاق ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ ربما فيما مضى .. الآن لم يعد لأحدكم وجود ، فى برنامج استمرار وجودى .

أدارت عينيها ، بكل رعب الدنيا ، نحو شاشات الأجهزة ، التى أعلنت كلها عملها بأقصى طاقة ، دون الحاجة إلى وجود العلماء أنفسهم .

حتى جهاز الإعاشة نفسه ..

وفى انهيار تام ، أغلقت الطبيبة عينيها ، وتمتمت :

ـ أنت على حق .. لم يعد لوجودنا أية أهمية .

وهوى العملاق بكل قوته ..

ولم تنطلق منها صرخة واحدة ..

قط ..

★ ★ ★

تنهّد القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى عمق ، وهو يستقبل (نور) فى مكتبه ، وقال فى توتر :

ـ اجلس أيها المقدّم .. لقد طلبت رفع درجة التأمين إلى حدّها الأقصى ، لضمان سرية محادثتنا تمامًا ، ولقد أضفنا إلى نظم أمننا ذلك البرنامج ، الخاص بالموجة المضادة لذلك الخصم الرهيب ، تحسبًا لأية محاولة منه ، للسيطرة على عقولنا هنا .

قال (نور) فى حسم عسكرى :

ـ قرار حكيم يا سيّدى القائد ، وأقترح تعميم هذا على كل الجهات الأمنية ، وقيادات الجيش ، ومؤسسة الرياسة أيضًا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ لقد طلبت حضورك إلى هنا ، لنتحدّث عن مؤسسة الرياسة بالتحديد أيها المقدّم .

تساءل (نور) فى حذر :

ـ هل تعنى إلغاء الاعتمادات المخصّصة للفريق يا سيّدى ؟!

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً فى حزم ، حمل لمحة توتر واضحة :

ـ بل عن الرئيس نفسه يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين تابع القائد الأعلى ، بنفس الحزم المتوتر :

ـ فى مقابلتنا الأخيرة ، بدا لى الرئيس مختلفًا تمامًا .. بل وعدوانيًا أيضًا إلى حد ما ، وكأنما يتعامل مع خصم ، وليس مع إدارة مخابرات علمية ، تخضع لأوامره المباشرة .

قال (نور) بنفس الحذر :

ـ سيِّدى القائد .. هل يقلقك ما يقلقنى ؟!

لم يحاول القائد الأعلى سؤاله عما يقلقه ، وإنما أجاب فى حزم شديد التوتر :

ـ بالضبط .

ثم نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وهو يتابع :

ـ ولو أن ما يقلقنا صحيح ، فهذا يعنى أن الأمور قد بلغت منتهى الخطورة والحساسية أيها المقدِّم ، وسيكون قرار إلغاء الاعتمادات المالية مجرَّد بداية ، وبعده يأتى قرار إيقاف الفريق عن العمل ، وربما عزله من المخابرات العلمية أيضًا .

شد (نور) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ لن يمنعنا هذا من مواصلة القتال ، من أجل (مصر) والعالم يا سيِّدى .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ ليست لدى ذرة شك فى هذا ، ولكنكم ستفتقدون الصفة الرسمية عندئذ ، وربما تتحولون أيضًا إلى طريدى عدالـة ، تطاردكم كل جهة أمنية فى (مصر) ، ممـا سيعوق قتـالكم حتمًا .

كرَّر (نور) فى حزم :

ـ هذا لن يوقفنا يا سيِّدى .

قال القائد الأعلى فى توتر :

ـ ربما .

ثم التقى حاجباه ، وحمل صوته كل توتره وانفعاله ، وهو يضيف :

ـ ولكن علينا نحن أن نوقفه .

تمتم (نور) بكل حذر الدنيا :

ـ أقصد الـ ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى صرامة عصبية :

ـ الرئيس أيها المقدِّم .. أو من ينتحل هيئة الرئيس .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ إنها مجرَّد هيئة وهمية يا سيِّدى .

توقَّف القائد الأعلى ، ليقول فى دهشة بالغة :

ـ هيئة وهمية ؟!

أجابه (نور) بسرعة :

ـ نعم يا سيِّدى القائد .. لو أن من رأيته ليس سيادة الرئيس بالفعل ، فهو ليس أى كيان مادى آخر ، بل مجرد صورة وهمية ، يصنعها ذلك الوحش فى عقلك ، بحيث تتصوَّر أنك أمام الرئيس بالفعل ، فى حين أنك تخاطب عقلك ليس إلا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يدرس هذا الأمر فى ذهنه ، الذى راح يستعيد كل لحظة ، من لقائه مع الرئيس ، و ...

وتوقَّف فجأة عند نقطة واحدة ..

لوحة أزرار الكمبيوتر ، التى لم تكن تصدر أدنى صوت ، حتى انتبه هو إلى هذا ، وألقى نظرة عليها ..

لقد بثَّ ذلك الشىء صـوتها فى عقله عنـدما قرأ حيرتـه بشأنها فيه .. تمامًا كما بث أمامه صورة الرئيس ..

وهيئته ..

وصوته ..

وبكل توتره ، هتف القائد الأعلى :

ـ نعم أيها المقدم .. إنه لم يكـن الرئيس .. لـم يكـن هـو أبدًا .. بل ولم يكن أى كيان مادى حتمًا .

أدرك (نـور) أن عقـل القـائد الأعلى قـد تـأكَّد من الأمـر تمامًا ، قبل أن ينطق لسانه هذا ، فقال فى قلق :

ـ الأمر خطير للغاية إذن ، يا سيادة القائد الأعلى .

أشار القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ لا بد أن نتخـذ موقفًـا حاسمًا حازمًـا فـى هـذا الشـــأن يا (نور) .. لا بد أن نمنع ذلك الوحـش ، مـن احتـلال مقعد رياسة الجمهورية ، وبأى ثمن .

قال (نور) فى حزم :

ـ حياتنا جميعًا فداء لـ (مصر) يا سيِّدى .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ لم يعد الأمر يقتصر على (مصر) وحدها يا (نور) .. العالم كله أصبح مهدَّدًا ، مع وجود ذلك الشىء الرهيب ، فى موقع كهذا .. تصورَّ ما يمكن أن يحدث ، أصدر أوامره بشن حرب نووية ، على (الصين) مثلا ، أو الاتحاد الأوروبى ؟! أو حتى على الولايات المتحدة ، التى كانت يومًا زعيمة للعالم ، قبل أن تتورَّط فى عمليات احتلال استعمارية ، استنزفت قواها ومواردها ؟! إنه قادر على إشعال الموقف العالمى كله ، بضغطة زر واحدة .

قال (نور) فى حزم :

ـ نحن أيضًا نستطيع انتزاعه ، من مقعد الرياسة ، بضغطة زر واحدة يا سيِّدى .

تلاحقت أنفاس القائد الأعلى فى انبهار ، وهو يتساءل :

ـ وكيف هذا يا (نور) ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ سأخبرك يا سيِّدى .

وتضاعف انبهار القائد الأعلى مرات ومرات ..

فخطة (نور) كانت بسيطة ..

وفعَّالة ..

ومبهرة ..

للغاية ..

★ ★ ★

التقط اللواء (عماد) نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره القوى ، قبل أن يطلقه فى بطء واستمتاع ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، ويُسبل جفنيه ، مسترخيًا فى مقعده ، ومطلقًا لأفكاره العنان ..

لقد نجح مشروعه نجاحًا منقطع النظير ..

نجح فى إعادة تكوين قدرات ذلك المسخ البشع ..

وإطلاقها بأقصى طاقتها ..

بل وبما يفوق طاقتها ..

ألف مرة ..

صحيح أن المشروع قد تجاوز كل حدود أحلامه وتمنياته ..

ولكنه ما زال يسيطر عليه ..

هو وحده ، من العالم أجمع ، يمكنه السيطرة عليه تمامًا ..

ودائمًا ..

فكرة ذلك الباب الخلفى ، الذى تركه فى برنامجه ، كان عبقريًا بحق ..

إنه مبرمج الآن على ألا يقتله ..

أو يسيطر عى عقله ..

مهما كانت الأحوال ..

ومهما فعل هو به ..

أو استفزّه ..

أو حتى أهانه ..

وهذه هى السيطرة ..

السيطرة التامة ..

الكاملة ..

الكابحة ..

القوية ..

وهذا يجعله أقوى رجل ، فى اللعبة كلها ..

بل فى العالم كله ..

ولأنه يمتلك السيطرة الكاملة ، يستطيع أن يدير الموقف كله ، وفقًا لخطته ..

وجدوله الخاص .

والأهداف التى يريد تحقيقها ..

وفى التوقيتات التى يحدّدها بنفسه أيضًا .

التقط نفسًا عميقًا آخر ، وهو يشعر بالقوة ، وعروقه كلها تحمل نشوة الظفر ، على نحو لم يشعر به من قبل قط ..

ومع مشاعره الفيّاضة ، راح يضع تصوراته للمرحلة القادمة ، وتوقيتاته الدقيقة لها ..

ذلك الشىء ، يسيطر على قرارات الرياسة ..

كل القرارات ..

لا بد وأن يصدر قرارًا إذن ، بتعيينه رئيسًا لمخابرات رياسة الجمهورية ، أعلى منصب أمنى فى البلاد ، ثم ...

قبل أن تتواصل أفكاره ، اقتحم عدد من رجال أمن الجهاز

مكتبه فجأة ، في عنف غير مألوف ، فانتفض جسده في قوة ، وهو يعتدل جالسًا ، ويهتف في غضب :

ـ ما هذا بالضبط :

ظهر رئيس الجهاز ، وهو يدلف إلى الحجرة ، ويسير بين رجال الأمن ، الذين أفسحوا له الطريق ، ليقف على مسافة متر واحد من مكتب اللواء (عماد) ، ويقول في صرامة :

ـ معذرة يا (عماد) ، ولكنني أنفذ الأوامر .

نهض (عماد) واقفًا ، وهو يتساءل في توتر :

ـ أوامر من ؟

بدا السؤال سخيفًا ، في موقع كهذا ، لا يرأسه إلا رجل واحد ، إلا أن رئيس جهاز مخابرات رياسة الجمهورية ، أجابه في هدوء صارم :

ـ أوامر سيادة الرئيس شخصيًّا .

تصاعد غضب عنيف ، من أعمق أعماق اللواء (عماد) واندفع يقول في حدة :

ـ أي رئيس ؟

أجابه رئيس الجهاز في صرامة :

ـ لا يوجد سوى رئيس واحد لـ (مصر) أيها اللواء (عماد) .

صاح (عماد) في حدة :

ـ لو شئت الدقة ، فقل : إنه لا يوجد رئيس لـ (مصر) ، في الوقت الحالي يا رجل .

بدا الغضب على وجه رئيس الجهاز ، وقال في صرامة ، وهو يشير إلى رجاله برفع فوهات أسلحتهم ، نحو نائبه السابق :

ـ ربما لرأيك هذا ، أصدر قراره بعزلك من منصبك ، واعتقالك في السجن الحربي ، لحين صدور أوامر أخرى .

اتسعت عينا اللواء (عماد) عن آخرهما ، وصرخ في غضب هادر :

ـ ذلك الوغد .

امتزج الجميع بدهشتهم واستنكارهم ، وصاح رئيس الجهاز في صرامة :

ـ انتباه .

ومع صيحته ، اتخذ الكل وقفة عسكرية متحفّزة ، وسبّاباتهم تستعد لضغط أزندة مدافعهم الليزرية ، المصوّبة نحو صدره ، إلا أنه لم يبال بكل هذا ، وهو يواصل في ثورة :

ـ هل يظن أنه سينتصر بهذه اللعبة الحقيرة ؟ إنه مجرَّد وهم زائف .. وهم حقير سخيف .

صاح به رئيسه فى غضب :

ـ لواء (عماد) .. إنك تتجاوز كل الحدود ، وكل كلمة تنطق بها كفيلة بسجنك واعتقالك لسنوات .

صرخ (عماد) فى ثورة :

ـ لا تجعلوه يخدعكم .. من أصدر تلك الأوامر ليس الرئيس .. ليس الرجل الذى انتخبتموه ، ووضعتموه فى هذا المنصب الرفيع .. إنه وهم .. مجرَّد وهم .

أطلق صرخته ، وهو يندفع نحو المدافع المصوَّبة إليه ، وكأنه لم يعد يبالى بحياته ، ولكن رئيسه صاح بالجنود :

ـ لا تطلقوا النار .. الرئيس أمر بإبقائه حيًا .

ومع هذه الأوامر ، تفادى الجنود المدرَّبون انقضاضة اللواء (عماد) ، ثم هوى أحدهم على مؤخرة عنقه بضربة قوية ، جعلته يصرخ بكل غضبه :

ـ إنه مجرَّد وهم ..

هوى رجل آخر على رأسه بكعب مدفعه ، فسقط على وجهه ، وندت منه صرخة مكتومة ، قبل أن تهمد حركته تمامًا ، معلنة أن ذلك الوحش قد انتصر هذه المرة ..

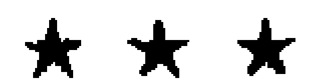
انتصر فى جولة جديدة من معركة السيطرة ..

السيطرة التامة ..

انتصر وهو ينتحل هيئة أقوى رجل فى (مصر) كلها ..

رئيس الدولة ..

شخصيًّا .





٥ ـ مرحلة الاستقلال ..

ساد الظلام التام تلك البقعة الساكنة المقفرة ، فى جبال (التبت) ، وصار من العسير أن ترصد العين ذلك المعبد البوذى الصغير ، الذى يحتلّ جبلاً متوسطًا ، وسط الجبال الشاهقة ، التى تكسو الثلوج قممها ، خاصة وقد خلا تمامًا من أى أثر للحياة ، وحتى من بصيص الضوء الخافت ، الذى يبدو مع مغيبِ الشمس فى المعتاد ، من عمق المعبد ، والذى لم يكن له وجود فى تلك الليلة ..

أما فى داخل المعبد نفسه ، فقد كانت الصورة معبِّرة عن الموت ، وليس عن الحياة ..

ففى ساحته الرئيسية ، تراصت جثث مجموعة من الرهبان ، شبه المتماثلين ، برءوسهم الصلعاء ، وثيابهم البرتقالية الخشنة ..

وحول كل راهب منهم ، تكوَّنت بركة صغيرة من الدم المتجمِّد ..

بركة صنعت رائحة رهيبة فى المكان ..

رائحة الموت ..

ووسط الظلام والسكون ، تحرّكت فجأة أصابع أحد الرهبان ..

ثم تحرّك رأسه ، الملقى على صدره ..

واعتدل فى بطء ..

ومع اعتدال الرأس على الجسد ، عاد إليه سكونه ..

وتركيزه ..

وانطلاقه ..

ولم يكن ذلك الراهب بحاجة إلى فتح عينيه ، وسط ذلك الظلام الدامس ، المسيطر على كل ما حوله ؛ ليدرك أن الموت يحيط به من كل جانب ..

عقله وحده كان قادرًا على رصد هذا ، مع غياب إحساسه بعقول الآخرين ، و ...

ولكن لا ..

هناك عقل حى آخر ..

عقل راهب آخر ، عند الطرف البعيد للدائرة ، التى صنعتها جثث باقى الرهبان ، الذين ظلت أجسادهم تتخذ تلك الجلسة القرفصائية الجامدة المعتادة ..

راهب كان يستعيد وعيه فى بطء أيضًا ..

وكانت أصابعه أيضًا تتحرَّك فى بطء ..

ولكن جسده اعتدل فى النهاية ..

وعاد إلى سكونه ..

وبدأ عقله يعلن عن وجوده ..

وتآزر العقلان ..

وامتزجا ..

وتبادلا الأفكار ..

والمعلومات ..

وأدركا طبيعة موقفهما الجديد ..

لقد صارا وحدهما ..

كل الباقين لقوا مصرعهم ، داخل ذلك المعبد القديم ..

كلهم بلا استثناء ..

قتلهم ذلك الخصم الرهيب ..

قتلهم بلا رحمة ..

ومن المؤكَّد أنه قد امتلك الآن سيطرة هائلة ..

سيطرة خرافية ..

وتامة ..

ولأنهما يشعران بمسئولية كاملة عن وجوده ، كان من المستحيل أن يجلسا صامتين ساكنين ، وترك الحبل على الغارب له ، ليفعل ما يريد ..

ولينفذ مخطَّطه الرهيب ..

مخطَّط السيطرة التامة على الأرض .

وعلى البشر ..

كل البشر ..

كان من المحتَّم أن يسعيا لفعل شىء ..

أى شىء ممكن ..

وفى هدوء عجيب ، راح العقلان يبحثان عن وسيلة ما ..

أية وسيلة ..

وبأى ثمن ..

ولأنهما يدركان قوتهما وإمكانياتهما جيِّدًا ، كانا يدركان أن طاقاتهما وحدهما لن تكفى ؛ لمواجهة ذلك الوحش الرهيب ..

لابد وأن يستعينا إذن بقوة أخرى ..

قوة يمكنها أن تتصدَّى لخصم مثله ..

خصم تجاوزت قدراته كل الحدود ..

وكل المستحيلات ..

ولكن أية قوة يمكن أن تصلح لهذا ؟!

أية قوة ؟!

وفى بطء وثبات ، كعادة كل رهبان (التبت) ، راح عقلاهما يستعرضان كل ما انتزعاه من عقل (نور) ..

كل المواجهات ..

والعمليات ..

والتفاصيل ..

كل لمحة ، يمكن أن تفيد فى اتخاذ القرار ..

قرار اختيار القوة المضادة ..

وأخيرًا ، وبعد ما يزيد عن ساعة كاملة ، توقّف عقلاهما عند نقطة واحدة بعينها ..

وعند قوة محدودة بإطار واضح ..

قوة ، انتزعا كل تفاصيلها ، من عقل (نور) ..

ومن مواجهاته ..

ومغامراته ..

وعندئذ ، وبعد أن استقرّ رأيهما عند قوة بعينها ، بدأ عقلاهما مرحلة جديدة ..

مرحلة الاتصال بتلك القوة ..

مباشرة ..

ومن أجل هدف كهذا ، كان عليهما استنفار كل ذرة من كيانهما ، إلى أقصى حد ممكن ..

إلى الحد الكافى لاختراق الزمان والمكان ..

بل والأبعاد أيضًا ..

وكانا يدركان جيدًا ، وهما يقومان بعملهما هذا ، أنه من المستحيل أن يحتمل عقلاهما ذلك الجهد الجبار ، الذى يستلزمه إتمام الاتصال ..

وأن شرايين دماغيهما لن تحتمل هذا أبدًا ..

وإذا ما نجحا فى اتصالهما هذا ، فقد يكون الثمن هو حياتهما نفسها ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يترددا لحظة واحدة ..

ففى اعتقادهما ، كانت حياتهما ثمنًا رخيصًا ، لما يمكن تحقيقه ..

هذا لو أمكنهما تحقيق الهدف ، وإجراء الاتصال بتلك القوة المناسبة ..

فعندئذ ، ربّما يتغيّر مصير العالم ..

ربّما !!

★ ★ ★

استعاد عقل (أكرم) كل توتراته السابقة ، على الرغم منه ، وهو يجلس فى سيارة (نور) ، التى يقودها هذا الأخير ، فى بطء نسبى ، عبر أطلال (القاهرة) القديمة ، وغمغم فى عصبية ، وهو يتلفت حوله :

ـ ألا توجد وسيلة أخرى ، لبلوغ مركز الأبحاث العسكرية هذا يا (نور) ؟!

غمغم (نور) دون أن يلتفت إليه :

ـ هذا أفضل سبيل إليـه ، لضمـان ألا تكشـفنا وسـائل المراقبـة والرصد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ لو أنها ما زالت تعمل .

تلفَّت (أكرم) حوله مرة أخرى ، وهو يتحسَّس مسدسه ، مغمغمًا :

ـ فليكن .

أوقف (نور) سيارته ، خلف أطلال مبنى قديـم ، والتفـت إليه ، قائلاً :

ـ هل تذكر ما لقنك إياه (رمزى) ؟!

أومأ (أكرم) برأسه إيجابًا ، وقال فى ضيق عصبى :

ـ نعم .. أعى الدرس ، الذى لقَّننى إياه الدكتور (رمزى) جيدًا .. إذا ما حـاول ذلـك الوغـد السيطرة على عقلى مـرة أخرى ، أو رسم أيـة صـورة وهميـة فيـه ، سـأغلق عينـىَّ ، وأعود بذاكرتى إلى كل اللحظات الجميلة فى حياتى ، و ...

بتر عبارته بغتة ، ثم استطرد فى غضب :

ـ أمن الضرورى أن يتم التعامل معى ، باعتبارى طفل فى مرحلة الروضة ؟!

أجابه (نور) محاولاً السيطرة على أعصابه :

ـ كلنا أطفال فى مرحلة الروضة ، فى مواجهة ذلك الوحش الرهيب يا (أكرم) .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ فليكن يا (نور) ، ولكننى ، إذا ما التقينا به ، سأثبت له أننى أجيد النزال والقتال ، كطالب دراسات عليا مجتهد .

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ سيسعدنى أن تُثبت هذا عندئذ .

ثم استعاد صوته حزمه وصرامته فجأة ، وهو يكمل :

ـ أما الآن ، فعلينا أن نستعد ، لبدء خطتنا .

تأكَّد (أكرم) من تثبيت سماعتى الأذن على أذنيه ، وهو يغمغم :

ـ من حسن الحظ أن قامت (سلوى) بتطوير هذه السماعات ،

التى يحمينا برنامجها من سيطرته العقلية ، وجعلتنا قـادرين على سـماع بعضنـا البعض ، ونحـن نرتديهـا ، وإلا لأصبـح علينا أن نتحدَّث بلغة الإشارة فحسب .

تمتم (نور) ، وهو يلتقط منظاره الرقمى المقرَّب :

ـ إننا نجيدها على أية حال .

وافقه (أكرم) بإيماءة من رأســه ، وعـاد يتلفَّت حولـه ، فى حذر متوتر ، وهو يقول :

ـ لهذا أعشق العمل فى المخـابرات العلميـة .. إنهـم يكسبونك مهارات جديدة ، فى كل يوم .

وضع (نور) منظـاره الرقمى على عينيـه ، وتطلَّع عبره إلى مركز الأبحاث العسكرية ، قبل أن يغمغم :

ـ كنت على حق .

التقط (أكرم) منظاره بدوره ، متسائـلاً :

ـ حقًّا ؟!

قال (نور) بابتسامة ظافرة :

ـ انظر بنفسك .

وضع (أكرم) المنظار الرقمى المقرِّب على عينيه ، وتطلَّع بدوره إلى مركز الأبحاث العسكرية ..

فى البداية ، بدا له كل شىء عاديًّا ، حتى إنه تساءل فى حيرة عما يعنيه (نور) ، بأنه على حق ..

ثم فجأة ـ تشوَّشت صورة حارسى برجى الحراسة ، كما لو أنهما صورة على شاشة تلفاز تالف ..

ثم استعادا هيئتهما الطبيعية لحظة ، قبل أن تتشوَّش صورتهما مرة أخرى ، بشدة أكثر ..

وبكل دهشة ، هتف (أكرم) :

ـ رباه ! إنهما مجرد صور وهمية بالفعل يا (نور) .

أجابه (نور) فى هدوء واثق :

ـ لم يكن لدى أدنى شك فى هذا .. كل نظم الحراسة هنا مجرَّد صورٍ وهمية ، يدفعها عقل ذلك الوحش ، فى عقول كل من يتطلَّع إلى المركز ، ولكن تلك السماعات على آذاننا ، تطلق فى عقولنا موجة مضادة قوية ، تفسد الصورة الوهمية ، فتجعلها تهتزّ أمامنا ، على النحو الذى تراه .

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ ولماذا لا تختفى تمامًا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ لأن (سلوى) و(نشوى) أكدتا أن السماعات لا توقف سيطرته العقلية ، ولكنها تحد منها فحسب .

بدا الارتياح واضحًا ، فى ملامح (أكرم) وصوته ، وهو يقول :

ـ هذا يكفى .

واسترخى لحظة فى مقعده ، قبل أن يسأل (نور) فى حماس :

ـ متى سنبدأ الخطة ؟!

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، وقال فى حزم :

ـ بعد ثلاث عشرة دقيقة بالضبط .

ثم غادر السيارة ، وهو يتابع :

ـ ففى لحظة واحدة ، ستبدأ محاورها الثلاثة .

غادر (أكرم) السيارة بدوره ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ محاورها الثلاثة ؟! أية محاور يا (نور) ؟! كل معلوماتى هى أن (نشوى) ستقتحم شبكة المعلومات العسكرية ، بوساطة

برامجها المتطوِّرة ، وتوقف عمل نظم الأمن ، فى مركز الأبحاث هذا ، وتمنحنا دقيقة كاملة للدخول إليه ، فى غياب وسائل تأمينية .

قال (نور) فى حزم :

ـ بالضبط يا (أكرم) ، فخلال دقيقة واحدة ، ستبدأ نظم التأمين الاحتياطية عملها ، ولو لم ننجح فى دخول المكان ، قبل مرور هذه الدقيقة ، ستهاجمنا كل وسائل الحماية الإليكترونية بلا رحمة ، ولن تنتهى منا ، قبل أن نتحوَّل إلى لحم مشوى .

هزَّ (أكرم) كتفيه ، وتأكَّد من حشو مسدسه ، وهو يقول :

ـ أهى محاولة لرفع معنوياتى ؟!

قا (نور) فى هدوء :

ـ ربما .

سأله (أكرم) ، وهما يتحركان فى خفة ، عبر الأطلال القديمة ، نحو أقرب نقطة لا يمكن رصدها ، بوساطة مركز الأبحاث العسكرية :

ـ سنفترض أن هذا أحد محاور الخطة .

قال (نور) مشيرًا بسبَّابته ووسطاه :

ـ بل محورين .. نحن ، و (نشوى) .

سأله فى اهتمام :

ـ وماذا عن المحور الثالث ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يلوذ بالصمت طويلاً ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ إنه القائد الأعلى .

هتف (أكرم) فى دهشة بالغة :

ـ القائد الأعلى ؟! شخصيًّا ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، دون أن ينطق كلمة واحدة ، فتابع (أكرم) مبهورًا :

ـ وما الدور الذى يمكن أن يقوم به القائد الأعلى شخصيًّا ، فى عملية كهذه ؟!

صمت (نور) فترة أطول ، وكأنما يتساءل فى أعماقه ، عما إذا كان من الممكن إخبار (أكرم) أم لا ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ـ تشتيت الخصم ، فى اللحظة المناسبة .

ثم التفت إلى (أكرم) ، مستطردًا في توتر ملحوظ :

ـ الخصم الرئيسى .

وانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلَّع إليه ، فى حيرة شديدة ..

وفى تساؤل عصبى أيضًا ..

فهو لم يفهم كلمة ، من إجابة (نور) لسؤاله ..

كلمة واحدة :

* * *

اعتدل رجال الحرس الجمهورى ، عند مقر الرياسة ، وارتفع صوت دقَّات كعوبهم ببعضها ، مع صوت قائدهم ، الذى هتف فى قوة ، وهو يستقبل سيَّارة القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية :

ـ انتباه .

عبرت سيَّارة القائد الأعلى بوَّابة مقر الرياسة فى هدوء ، وارتفعت الأيدى أمامها بتحية عسكرية قوية ، قبل أن يوقفها القائد فى المكان المخصَّص لها ، فى ساحة المقر ، ويغادرها فى هدوء شديد ، فاستقبله قائد الحرس الجمهورى فى احترام ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس فى انتظارك يا سيِّدى .

غمغم القائد الأعلى فى هدوء :

ـ عظيم .

وتبع قائد الحرس ، حتى حجرة مكتب الرئيس ، التى توقف قائد الحرس خارجها وفتح بابها للقائد الأعلى ، فدلف إلى الداخل ، وأدّى التحية العسكرية بدوره ، وهو يقول :

ـ القائد الأعلى للمخابرات العلمية يا سيادة الرئيس .

كان الرئيس يوليه ظهره ، وهو يقف هناك ، عند نافذة حجرة مكتبه ، ولكنه سأله فى شىء من الصرامة :

ـ لماذا أردت مقابلتى ، على هذا النحو العاجل أيها القائد ؟!

بذل القائد الأعلى جهدًا حقيقيًّا ، للسيطرة على أعصابه ، وهو يضع المسماعين اللذين منحتهما له (سلوى) على أذنيه ، قائلاً :

ـ لدى بعض الشكوك ، يا سيادة الرئيس .

لم يكد يضغط زر تشغيل المسماعين ، حتى تشوّشت صورة الرئيس أمامه ، على نحو مخيف ، والتفت إليه بحركة حادة ، كما لو أن صانعها قد أدرك ما حدث ، وتلاشى صوت الرئيس المألوف دفعة واحدة ، ليحلّ محله ، ذلك الصوت الرهيب ، وهو يقول ، عبر تلك الصورة الوهمية :

ـ شكوك أم يقين أيها القائد ؟!

أجابه القائد الأعلى ، في صرامة متوترة :

ـ يقين أيها الوغد .

توقَّفت تلك الصورة المشوَّشة ، وأطلقت ضحكة وحشية رهيبة ، قبل أن تقول :

ـ الوغد ؟! هل تجرؤ على سب رئيس جمهوريتك أيها القائد ؟!

أجابه القائد ، وهو يحاول السيطرة على توتره :

ـ محال أيها الوغد .. إنني أدفع حياتي ، ثمنًا لحياة رئيس الجمهورية ، دون أدنى تردُّد ؛ فهو ليس مجرَّد شخص عادى .. إنه رمز .. رمز للسيادة والقوة ، ولاستقلالية (مصر) وشعبها ، ومبادئها .

راحت الصورة تتشوَّش وتتضح ، في تعاقب غير منتظم ، وهي تقول بذلك الصوت القاسي الرهيب :

ـ محاضرة أخلاقية رفيعة أيها القائد ، ولكنك لا تملك غيرها .

قال القائد ، وهو يتحسَّس ذلك الجهاز الصغير ، في قاع جيب سرواله ، في حذر متوتر :

ـ أتظن هذا ؟!

اقتربت تلك الصورة المشوَّشة منه ، وهى تقول :

ـ بل أعلم هذا .. تمامًا كما أعلم أن ذلك الجهاز ، الذى تضعه على أذنيك ، يستطيع الحد من قدراتى العقلية ، ومن سيطرتى على خلايا مخك الرمادية ، وأعمق أعماق عقلك الباطن ، ولكنه لا يستطيع منعى من التوغّل فى عقلك ، وكشف ما تخفيه ..

وتواصل الاقتراب ، وازداد الصوت وحشية ، وهو يتابع :

ـ كل ما تخفيه .

أمسك القائد الأعلى ذلك الجهاز الصغير ، فى قاع جيب سرواله ، وهو يقول فى توتر ، عجز عن أن يكسبه الصرامة اللازمة هذه المرة :

ـ لن يمكنك إقناعى بهذا .

بدا ذلك الصوت الرهيب ساخرًا ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟! كيف يمكننى أن أقنعك إذن ؟! هل يكفى أن أقول : إن سيارتك ، المتوقِّفة فى ساحة المقر الآن ، تحوى جهازًا خاصًّا ، يمكنه أن يطلق تلك الموجة القوية ، المضادة لموجاتى العقلية ، فى مساحة واسعة ، تشمل القصر كله ..

وتوقَّفت الصورة ، ثم مالت نحوه ، وبدت أكثر تماسكًا ، وهى تضيف :

ـ ويضغطة زر واحدة .

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت لحظة الصفر بالفعل ، إلا أن القائد الأعلى أدرك أنه ليس باستطاعته الانتظار ، فضغط زر الجهاز الصغير بكل قوته ..

ومع ضغطته ، تشوَّشت الصورة الوهمية أمامه فى عنف ، و ...

وعادت تتماسك فى سرعة مدهشة ..

ومع تماسك صورة الرئيس الوهمية ، انطلقت فى عقل القائد الأعلى ضحكة عالية ، مجلجلة ، ساخرة ، وحشية ، قبل أن تقول الصورة فى سخرية شديدة :

ـ من سوء حظك ، أن الجميع لا يرتدون المسماعات نفسها ، التى ترتديها أنت ، فوحدك تراتى فى صورة مشوَّشة ، أما الباقين ، وعلى رأسهم رجال الحرس الجمهورى ، فيرون أمامهم الرئيس نفسه .. الرئيس الذى قلت : إنك مستعد لدفع حياتك ، ثمنًا لحياته .. المشكلة أن هذا رأيهم أيضًا ، بالإضافة إلى أنهم مؤهلون لتنفيذ أوامر الرئيس ، دون إبطاء أو مناقشة ..

ردَّد القائد الأعلى ، فى توتر شديد :

ـ ولكن الجهاز ... كان ينبغى أن .. أن ..

أطلقت صورة الرئيس المشوَّشة ضحكة أخرى ساخرة ، قبل أن تقول ، بذلك الصوت الرهيب :

ـ جهازك انتزعه رجال الحرس الجمهورى من سيارتك ، فور دخولك إلى هنا ، بناءً على أوامر رئيس الجمهورية شخصيًّا ، وتم إبطال مفعوله ، حتى قبل أن تصل مع رئيس الحرس إلى هذا المكتب .

وعادت الصورة الوهمية تميل نحوه ، قائلة فى شماتة :

ـ مكتب رئيس الجمهورية .

شعر القائد الأعلى بتوتر عنيف ، يلتهم كل مشاعره وانفعالاته ، وبإحباط ما بعده إحباط ، ويأس تجاوز كل الحدود ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لا تتصوَّر أنك ستربح هذه المعركة .

هزّت الصورة الوهمية رأسها ، وقالت :

ـ ولا تتصوَّر أنت ومن معك ، أنه يمكن أن أخسرها .

وعادت تميل نحوه ، وصوتها يزداد عمقًا ووحشية ، وهى تقول :

ـ اعترف يا رجل .. لقد ربحت معركتى بالفعل .

سحب القائد الأعلى مسدسه الليزرى ، فى حركة غريزية سريعة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ كلاَّ .. لم تربحها بعد .

خُيِّل إليه أن تلك الصورة الوهمية تحمل عينين متألقتين ، وهى تقول ، بصوتها العميق الرهيب :

ـ هل سحبت مسدسك ؟! عظيم .. هذا ما كنت أنتظر حدوثه بالضبط ؟!

وانطلقت فى عقل القائد الأعلى ضحكة رهيبة ، قبل أن يتابع الصوت نفسه ، فى سخرية واضحة :

ـ والآن ماذا ؟! هل ستطلق أشعة الليزر ، على صورة وهمية ؟! هل تصوَّر عقلك الساذج السخيف هذا ، أن الانتصار على شخص مثلى ، يمكن أن يتحقَّق بطلقة من مسدس ليزرى ؟!

قال القائد الأعلى ، وجسده كله ينتفض فى انفعال :

ـ سبق وأن فعلها مسدس عادى .

أطلّ غضب رهيب ، من عينى صورة الرئيس الوهمية ، وتحولّت بغتة إلى دخان ، تصاعد فى الحجرة ، ليصنع تلك الصورة الوهمية للعملاق ، الذى قال بصوت رهيب ..

صوت فظيع ..

بشع ..

يفوق ألف مرة بشاعة صوته السابق :

ـ لقد أصدرت الحكم على نفسك ، بقولك هذا .

ثم استعاد صوته فجاة ، صوت رئيس الجمهورية ، وهو يهتف فى صرامة غاضبة :

ـ أيها الحراس .

لم يكد هتافه ينتهى ، حتى اقتحم رجال الحرس الجمهورى المكان ، وهم يصوبون مدافعهم الليزرية فى تحفز ..

وبالنسبة إليهم ، لم يكن هناك عملاق ..

أو دخان ..

أو صور مشوّشة ..

كان هناك فقط رئيس الجمهورية ، الذى يدينون له بالولاء ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، يصوّب إليه مسدسه الليزرى ..

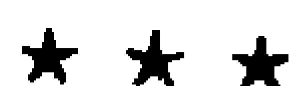
ومع أصابعهم المتحفزّة ، ومدافعهم المشهورة ، وأوامر الرئيس السابقة ، كان يكفيهم هتاف واحد ، أطلقه الرئيس الوهمى فى عقولهم :

ـ أطلقوا النار .

وانطلقت خيوط أشعة الليزر القاتلة كلها ، نحو الهدف ..

نحو القائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

مباشرة .





٦ ـ من وراء النجوم ..

انهمك مدير مركز الأرصاد الفلكية طويلاً ، فى مراجعة بعض التقارير الإدارية والفنية ، الصادرة عن المركز ، ثم لم يلبث أن أغلق عينيه ، وفركها فى إرهاق شديد ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ لم يكن ينبغى أبدًا أن أقبل بهذا المنصب .. عقليتى العلمية ما زالت تنفر كثيرًا ، من هذه الأعمال الإدارية ، التى لا تنتهى أبدًا .

كان يشعر بضيق حقيقى ، من أعباء منصبه هذا ، وهو العالم المعروف ، فى علوم الفلك والكواكب ، وصاحب الكشوف العظيمة ، فى هذا المضمار الثرى ..

وفى ملل شديد ، التقط بعض الصور ، التى سجَّلها المرصد ، لتحركات الكويكبات والنيازك الجوَّالة ، خارج المجموعة الشمسية ، و ...

وفجأة ، توقَّفت عيناه عند نقطة مضيئة ، فى إحدى الصور الفلكية ..

نقطة راح يتأمَّلها فى منتهى الاهتمام ، قبل أن يغمغم :

ـ عجبًا ! ما هذا بالضبط ؟!

أشعل جهاز الفحص الدقيق على مكتبه ، ودفع داخله تلك الصورة ، وقام بتكبير الجزء المحيط بتلك النقطة المضيئة عدة مرات ، ثم وضع فوقه عدسة كبيرة ، وهو يعيد فحصه مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

وفى كل مرة يفحصه فيها ، كانت حيرته بشأنه تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

ولأنه عالم متمرّس ، فى علوم الفلك ، بدأ يراجع كافة المعلومات ، المختزنة فى رأسه ، حول الأجسام الفضائية ، ومساراتها العجيبة ، وغير المألوفة ..

بل والمضطربة أيضًا ..

ولكن ذلك الجسم المضىء لم يكن يتفق مع أى شىء رآه أو رصده من قبل ..

أى شىء على الإطلاق ..

وفى اهتمام شـديد ، راح العـالم الفلكـى يبحـث عـن بـاقى الصور ، التى تم التقاطها للجسم نفسه ، فى مراحل مختلفة ..

ولقد عثر على صورة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وخامسة أيضًا ..

وبمنتهى الدقة والاهتمام ، وبعقل وفضول عالم فذ ، راح يراجع موضع ذلك الجسم المضىء ، فى كل الصور ..

وتضاعفت حيرته العلمية أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ففى كل صورة ، كان موقع الجسم المضىء يختلف ..

ويتغيّر ..

ويتبدّل .

ولكنه ، فى كل الأحوال ، كان يتخذ مسارًا ، نحو بقعة بعينها ..

نحو كوكب الأرض ..

أمـا تغيـير مواقعـه وتبديلهـا ، فقـد كـان يبـدو أشـبه بمناورات ، لتفادى أجسام فضائية ، أو نيازك ضالة ..

ولقد أقلقه هذا أكثر ..

أكثر كثيرًا ..

فالمناورة المدروسة ، لجسم ما فى الفضاء ، يتجـه نحـو هدف ثابت ، توحى بأنـه جسم تتـم قيادتـه ، بوسـاطة عقل متطوّر ..

أو بمعنى أدق ، أشبه بمركبة فضائية ..

مركبة تأتى من هناك ..

من وراء النجوم ..

وسرت فى جسـده قشـعريرة بـاردة كـالثلج ، عندمـا جـال الاحتمال بخاطره ، واستعاد ذهنه وقـائع فـترة رهيبـة ، من أبشع الفترات التى مرّت بكوكب الأرض كله ..

فترة الاحتلال(*) ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وبكل رعبه وتوتره ، راح يحك ذقنه فى عصبية ، وهو يقول فى قلق بلا حدود .

ـ رباه ! تُرى هل ؟!

لم يحاول إتمام عبارته ، وإنما هب من خلف مكتبه ، واتجه فى خطوات سريعة قلقة ، نحو قاعة الرصد الأساسية ، وناول المسئول عنها إحدى الصور ، التى ترصد ذلك الجسم المضىء ، قائلاً فى صرامة :

ـ أريد متابعة هذا الشىء بنفسى .

التقط الرجل الصورة ، وراح يُغذِّى المنظار العملاق بإحداثياتها الفضائية ، فبدأ الكمبيوتر الملحق به عمله على الفور ، وصوَّب العدسات الهائلة نحو الهدف ، الذى تمت برمجته به مسبقًا ..

وعلى شاشة كبيرة ، ظهرت صورة ذلك الجسم ، وهو يتحرّك فى الفضاء ، شاقًا طريقه نحو الأرض ..

وفى قلق محدود ، غمغم مسئول الرصد :

ـ لقد اقترب كثيرًا . غمغم المدير :

ـ المهم أن نعرف ماهيته بالضبط .

اقترب أحد العلماء منه ، قائلاً :

ـ لقد تصوَّرناه في البداية مذنبًا ضالاً(*) واعتقد بعضنا أنه نيزك غير منتظم(**) ، ولكن فحصه عبر مقياس الطيف ، أثبت أنه ليس مذنبًا بأى حال من الأحوال ، على الرغم من الذيل الممتد خلفه ، والذى أثبتت الفحوص أنه يتكوَّن من مواد ملتهبة ، وليست باردة ، مثل ذيل المذنب ، كما أن حجمه أقل بكثير من أن يكون مذنبًا ، أضف إلى هذا أنه يتكوَّن من المعادن ، كما أثبت المقياس الطيفى(***) مما قد يوحى بأنه نيزك ، من طراز (سيدريت) المعدنى ، خاصة وأن المعادن التى يتكوَّن منها ، والتى سجَّلها المقياس الطيفى ، تحوى بعض العناصر الغريبة ، وغير المعروفة فى عالمنا .

(*) المذنَّب : جرم سماوى خفيف نسبيًا ، له ذيل مضىء ، من مواد غازية متجمِّدة ، ويبلغ طول ذيله في بعض الأحيان ، ما يفوق المسافة بين الأرض والشمس ، والمذنبات ذات طبيعة دورية ، تتخذ مسارات حول الشمس ، ولقد كان يُعتقد فيما مضى أنها تأتى من خارج المجموعة الشمسية ، ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أنها جزء منها ..

(**) النيزك : شهاب غير تام الاحتراق ، يقطع الفضاء لملايين الكيلومترات ، قبل أن يصل إليها ، وتنقسم النيازك إلى ثلاثة أنواع (أيروليت) ، ويتكوَّن من الحجارة ، و(سيدريت) من المعادن و(سيدروليت) من خليط منهما .

(***) مقياس الطيف (اسبكتروسكوب) : جهاز لفحص الطيف بصريًا ، عن طريق تحليل مقياس الطيف ، عبر منشور أو مصبَّعات ، بحيث يمكن تحديد نوع المعادن أو العناصر ، التى يتكوَّن منها جسم ما ، من خلال العلامات التى يتركها عبر الطيف المتكوَّن .

تضاعف توتر مدير المركز ، وهو يقول ، مشيرًا إلى الجسم ، الذى يتابع المنظار العملاق حركته ، وينقلها إلى تلك الشاشة الكبيرة :

ـ ولكن النيازك بكل أنواعها لا يمكنها أن تناور على هذا النحو .. ولا يمكنها أيضًا أن تنطلق بهذه السرعة المذهلة ، التى تكاد تقارب سرعة الضوء .

ثم أشار إلى المؤشرات على الشاشة ، متابعًا فى توتر :

ـ انظروا .. لقد وصل إلى المجموعة الشمسية ، منذ أقل من ثلاث ساعات ، وها هو الآن يقترب من كوكب (المشترى) ، وهذا يعنى أنه قطع المسافة الهائلة ، من كوكب (بلوتو) إلى (المشترى) ، فى هذه الفترة القصيرة جدًّا .

واعتدل ليلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع فى عصبية :

ـ وما من جسم فضائى طبيعى ، يمكن أن ينطلق بهذه السرعة ، دون قوة دفع خاصة جدًّا ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ وصناعية جدًّا .

اتسعت عيون الرجال فى دهشة ، وتبادلوا نظرة مذعورة ، قبل أن يتساءل أحدهم فى رعب :

ـ ما الذى تشير إليه بالضبط يا سيِّدى ؟!

أشار مدير المركز مرة أخرى نحو الشاشة ، وهو يجيب :

ـ لقد درست حركة ذلك الجسم جيِّدًا ، حتى قبل أن أراه على هذه الشاشة ، ولو أردتم رأيًا علميًّا ، فهذا الشىء تقوده محركات قوية ، فى اتجاه كوكبنا مباشرة ..

امتقعت وجوههم فى شدة ، فتابع فى حزم ، لم يخل من التوتر :

ـ وذلك الاختلاف المدروس فى مساره ، هو مناورات ذكية ، يستحيل كونها عشوائية ؛ لتفادى أية عقبات فى الطريق ، ولتصحيح المسار فى كل مرة .

غمغم أحدهم مرتاعًا :

ـ أتعنى يا سيِّدى أن هذا الشىء هو .. هو ..

لم يستطع الرجل إتمام تساؤله ، إلا أن مدير المركز أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. إنه مركبة فضائية ، يقودها كيان ذكى ، أيًّا كانت هويته .

بدا قوله هذا أشبه بصدمة عنيفة ، ارتجفت لها قلوبهم داخل صدورهم ، وشحبت معها وجوههم فى شدة ، وانعقدت ألسنتهم فى حلوقهم ، وأحاط بهم صمت رهيب ، لم يلبث أحدهم أن قطعه ، وهو ينتزع نفسه من انفعالاتها انتزاعًا ، قائلاً :

ـ ولكن هذا مستحيل يا سيِّدى ! ذلك الجسم لا يمكن أن يكون مركبة فضائية ، مهما قام بألف مناورة ناجحة وذكية .

سأله المدير فى اهتمام :

ـ ولماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

لأن حجمه يمنع كونه كذلك .. إنه أصغر كثيرًا من أن يكون مركبة فضائية ، حتى لو كانت مجهَّزة ليقودها رائد فضاء واحد .

بدا مدير المركز شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ ربما تضمّ أقزامًا ، من كوكب صغير ، أو ....

قاطعه أحد الرجال ، وهو يقول فى حماس :

ـ ولماذا التخمين ؟!

التفت إليه الجميع متسائلين ، فتابع بنفس الحماس :

ـ يمكننا رؤية ذلك الجسم ، ورصده بعيوننا مباشرة .

تساءل مدير المركز فى اهتمام :

ـ وكيف هذا ؟!

أشار الرجل إلى الشاشة ، وهو يقول :

وبهذه السرعة ، ومع المسار الذى يتخذه ذلك الجسم ، سيسقط عليه ضوء الشمس ، خلال ...

صمت لحظة ، ليجر بعض حساباته على الكمبيوتر ، قبل أن يضيف فى اهتمام شديد :

ـ خلال ست دقائق وسبع ثوان بالضبط ، وعندئذ ، يمكننا تكبير صورته رقميًا ، ورصد ملامحه فى وضوح لأربع ثوان كاملة .

انعقد حاجبا مدير المركز ، وهو يقول :

ـ عظيم .. اتخذوا كل الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا فورًا ..

اتجه كل منهم إلى جهازه ، وراحوا يعملون فى سرعة ، فى حين عاد المدير يتابع حركة ذلك الجسم ، وهو ينطلق عبر الفضاء .

وينطلق ..

وينطلق ..

وفى أعمق أعماق ذهنه ، انطلق ألف سؤال وسؤال ..

وعلى رأسها كلها سؤال واحد ..

سؤال قد يحمل الجواب ، لكل الأسئلة الأخرى ..

كلها بلا استثناء ..

ما هذا الجسم بالضبط ؟!

ولماذا ينطلق نحو الأرض ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

« سيمكننا رصده ، بعد ثلاثين ثانية فحسب .. »

انتزعته عبارة مسئول الرصد ـ من أفكاره وتساؤلاته ـ فرفع عينيه إلى الشاشة ، فى لهفة وفضول ، وتابع حركة ذلك الجسم ، والثوانى تمرّ فى بطء ..

وتمرّ ..

وتمرّ ..

وعلى الرغم من عددها المحدود ، بدت له أشبه بدهر ..

دهر كامل مضى ، قبل أن يقول مسئول الرصد فى حماس :

ـ الآن .

ومع قوله ، سقطت أشعة الشمس بالفعل على ذلك الجسم ..

وأضاءته بشدة ..

ومع استضاءته ، أصبح من الممكن تكبير صورته رقميًا ، دون أن تفقد وضوحها ..

ولقد تم تكبير الصورة بالفعل مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

ولثانية أو ثانيتين ، بدا الجسم شديد الوضوح على الشاشة الكبيرة ..

بدا بهيئته ..

وتفاصيله ..

وملامحه الكاملة ..

واتسعت عينا مدير المركز عن آخرهما ..

واتسعت معها كل عيون الآخرين ..

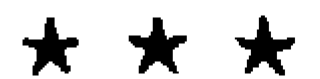
واحد منهم فقط استطاع التقاط أنفاسه ، ليهتف من أعمق أعماق كيانه :

ـ مستحيل !

فما رأوه أمامهم جميعًا ، يشق طريقه عبر الفضاء ، نحو كوكب الأرض ، كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

وبكل المقاييس ..



« ما هذا بالضبط ؟! »

تساءلت (مشيرة) في عصبية ، وهي تحدق في ذلك المحقن ، الذي يمسك به (رمزى) ، الذى منحها ابتسامة مطمئنة ، قائلاً في هدوء مريح :

ـ إنه مجرد عقار مهدئ يا (مشيرة) .. إنه جزء من العلاج الخاص بك .

قالت في عصبية :

ـ أى علاج ؟! لقد غرقت في غيبوبة لبعض الوقت ، ثم استعدت وعيى ، وهذا كل شيء .

تطلَّع (رمزى) إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ (مشيرة) .. امنحنينى ثقتك .

ظلَّت تتطلَّع إليه بضع لحظات فى توتر ، قبل أن تقول فى عصبية :

ـ هذا القول يصلح شعارًا لحملة إعلانية .

قال مبتسمًا :

ـ عندئذ سأتقاضى أجرًا باهظًا لقاء هذا .

حاولت أن تبتسم بدورها ، إلا أنها شعرت بتوتر هائل ، يكاد يلتهم كل مشاعرها ، فأغلقت عينيها ، وهى تسترخى فى ذلك الفراش الصغير ، فى ركن القاعة الخاصة ، مغمغمة :

ـ فليكن .. أعتقد أننى أحتاج إلى ذلك المهدِّئ بالفعل .

التقط (رمزى) ذراعها فى رفق ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد يا (مشيرة) .. بالتأكيد .

وفى براعة وسرعة ، دسَّ إبرة المحقن فى عروقها ، ودفع فيها ذلك العقار الشفاف ـ فاسترخى جسدها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم غابت فى نوم عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

وفى توتر ملحوظ ، سأله الدكتور (حجازى) :

ـ اتعتقد أن هذا سيكفى ؟!

اعتدل (رمزى) ، وهو يطلق زفرة متوترة ، مجيبًا :

ـ أتعشَّم هذا .

قالت (نشوى) ، وهى تلتفت إليهما فى عصبية :

ـ ثلاث دقائق فقط ، ويبدأ تنفيذ الخطة .

غمغم (رمزى) :

ـ على بركة اللَّه .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ أما زلت تؤمن بصحة نظريتك يا (رمزى) .

أومأ برأسه إيجابًا ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ نعم .. ما زلت أعتقد أن ذلك الشىء الرهيب ، الذى نواجهه ، قد ترك فى عقل (مشيرة) ، بابًا خلفيًّا ، يمكنه أن يتسلل عبره إليها ، بوسيلة نجهلها ، حتى ونحن نحيط أنفسنا بذلك الدرع الواقى ، من الموجة المضادة القوية .

سألته فى قلق :

ـ وهل تعتقد أن ذلك العقار ، الذى حقنتها به ، سيمنع تجسُّسه علينا ، عبر عقل (مشيرة) ؟!

أشار بيده ـ قائلاً :

ـ هذا العقار يُحيط كل حواس الجسم ، على نحو أو آخر ؛ لتأمين حالة من الاسترخاء التام ، المطلوب لعلاج بعض الأمراض النفسية المستعصية ، وما دامت لا تستطيع سماعنا أو رؤيتنا ، فلن يمكنها بث كل ما تلتقطه من معلومات ، إلى ذلك الشىء الرهيب .

سأله الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ هل تعتقد أنها تستطيع بث المعلومات إليه ، وحتى فى وجود ذلك الدرع الموجى المضاد ، المحيط بنا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ حسبما فهمت من (نشوى) ، ذلك الدرع يمنعه من الوصول إلينا ، ولكن لا يمنع (مشيرة) من الانطلاق إليه ، لأن عقلها سيبث ما لديه ، عبر موجة مختلفة تمامًا .

غمغمت (نشوى) :

ـ بالضبط .

ثم أضافت ـ وأصابعها تتقافز فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر الخاص بها :

ـ ولكن أمامنا دقيقة واحدة فقط ، قبل أن يبدأ أبى و(أكرم) تنفيذ الخطة .

سألتها (سلوى) فى قلق :

ـ هل نجحت فى اقتحام شبكة المعلومات العسكرية ، والسيطرة على نظام التأمين ، فى مركز الأبحاث العسكرية ؟!

أجابتها (نشوى) فى توتر :

ـ لم يكن هذا سهلاً .

وصمتت لحظة ، ثم استطردت فى حزم ، لم يفارقه توترها :

ـ ولكننى فعلتها .

هتفت (سلوى) :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم ربتت على كتف ابنتها ، قائلة :

ـ لم أشك لحظة واحدة ، فى قدرتك على فعل هذا .

لم تُعلِّق (نشوى) على عبارتها ، وهى تراقب ذلك العداد التنازلى ، فى ركن شاشة جهازها ، والذى يشير إلى اقتراب لحظة الصفر ، وإلى الثوانى المتبقية ، والتى بدا وكأنها تعدو فى سرعة مدهشة ، يخفق معها قلبها ..

ويخفق ..

ويخفق ..

ثم أعلنت الشاشة انتهاء العد ..

وبلوغ لحظة الصفر ..

وبكل توترها وانفعالها ، ضغطت (نشوى) زر جهاز الكمبيوتر ، وهى تتمتم فى خفوت :

ـ الآن .

قولها هذا شاركها فيه (نور) ، عندما أعلنت ساعته بدء الخطة ، وهو يغادر موقعه ، ويندفع مع (أكرم) نحو مركز الأبحاث العسكرية مباشرة ..

كان كلاهما واثقًا من أن (نشوى) قد قامت بعملها كما ينبغى ، وأن كل نظم تأمين المركز قد توقّفت ..

ولمدة دقيقة واحدة ..

دقيقة راحت ثوانيها تمضى فى سرعة مدهشة ، وهما يعدوان نحو المركز ، ويقتربان منه ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

وفى حماس ، هتف (اكرم) :

ـ لقد نجحت (نشوى) حتمًا ، ولولا هذا لأمطرتنا الأسلحة الدفاعية للمركز ، بوابل من أشعة الليزر القاتلة ، قبل أن نبلغ هذه المسافة .

أجابه (نور) فى صرامة ، وذهنه يراجع تفاصيل خريطة إنشاءات مركز الأبحاث ، التى استخرجتها (نشوى) من الملفات السرية لشبكة المعلومات العسكرية :

ـ لم ندخل المكان بعد .

لوّح (أكرم) بمسدسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ ومن سيجرؤ على منعنا ؟!

لم يجب (نور) هذه المرة ، ولكنه ألقى نظرة على ساعته ، التى تشير أرقامها إلى مضى الثوانى بسرعة مخيفة ، وهو

يدور حول مركز الأبحاث العسكرية ، ويتوقَّف عند باب خلفى ، ثم ينتزع من جيبه جهازًا صغيرًا ، ألصقه إلى جوار رتاجه الإليكترونى ، وضغط أزراره فى سرعة ، و(أكرم) يتمتم :

ـ أراهن أن هذا الجهاز من ابتكار (نشوى) أيضًا .

أجابه (نور) ، وهو يراقب الأرقام ، التى تتراص على شاشة الجهاز الصغير فى سرعة :

ـ هذا صحيح .

مع آخر حروف كلماته ، توقف صف من الأرقام على الشاشة ، وانطلق من الجهاز أزيز صغير ، ثم انفتح الباب الخلفى ، وكأنما تلقى شفرته الصحيحة ، التى يتم تغييرها يوميًّا ، على نحو إليكترونى عشوائى ..

وبسرعة ، ودون أن يتبادلا حرفًا واحدًا ، عبر (نور) و(أكرم) الباب الخلفى ، و(نور) ينتزع ذلك الجهاز الصغير ، ويدسّه فى جيبه ..

وعندما أُغلق الباب خلفهما ، كانت ساعة (نور) تشير إلى أن أمامهما عشرين ثانية فحسب ، لكى يقطعا ساحة المركز ، ويعبران الباب الداخلى ، المزوّد برتاج إليكترونى مماثل ، حتى يمكنهما القول بأنهما داخل المكان بالفعل ..

وبأقصى سرعتهما ، انطلقا يعدوان ..

كان هناك عشرات من رجال الحراسات الخاصة ومكافحة الإرهاب في المكان ، ولكنهم كانوا يبدون جميعًا أشبه بصور مشوّشة ، على درجات مختلفة ، مما جعل (أكرم) يغمغم :

ـ رباه ! أكل هؤلاء مجرّد صورة وهمية ؟!

أجابه (نور) :

ـ هذا يمنحك فكرة واضحة ، عن المدى الذى بلغته قوة ذلك الشيء ! إننا نرى كل هذه الصور المشوّشة ، على الرغم من الموجة المضادة ، التى تحاول حماية عقلينا .

ردّد (أكرم) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

بلغا ذلك الباب الداخلى بالفعل ، وألصق (نور) جهازه الصغير ، إلى جوار رتاجه الإلكترونى ، وضغط زر الجهاز ..

ومرة أخرى راحت الأرقام تتراقص على شاشة ذلك الجهاز الصغير ، فى سرعة مدهشة ..

والثوانى تمضى بنفس السرعة أيضًا ..

ووفقًا لساعة (نور) ، تبقّت أمامهم عشر ثوان ..

تسع ..

ثمـان ..

سبع ..

ست ..

وبكل توتره ، هتف (أكرم) :

ـ ألا يمكن أن يعمل هذا الجهاز بصورة أسرع قليلاً ؟!

ولم يجب (نور) ..

كانت عيناه تتابعان الشاشتين ، فى آن واحد ..

شاشة جهاز (نشوى) الصغير ..

وشاشة ساعته الرقمية ..

ما زالت الأرقام تتراقص على شاشة الجهاز .

والثوانى تمضى أيضًا ..

خمس ثوان ..

أربـع ..

ثلاث ..

ثم ثبتت الأرقام على الشاشة ، وانفتح الرتاج الإليكترونى للباب الداخلى ..

وبكل قوته وسرعته ، دفع (نور) الباب ، وجذب جهـازه الصغير من جوار رتاجه ، وهو يثب عبره ، هاتفًا :

ـ أسرع يا (أكرم) .. أسرع باللَّه عليك .

واندفع (أكرم) نحو الباب ..

ثانيتان تبقيتا ..

ثانية واحدة ..

ووثب (أكرم) ..

وانطلقت صاعقـة قويـة ، مـع بـدء تشغيل نظـم التـأمين الاحتياطيـة .. وبمنتهـى العنـف ، انتفـض جسـد (أكـرم) ، فصرخ (نور) :

ـ لا .. ليس هو ..

ولكن جسد (أكرم) اندفع فى قوة ، وكأنما تلقى صاعقـة فى صدره ، وسقط علـى ظهره ، فـى ساحة المركـز ، وقد توقَّفت أنفاسه ، واكتسى وجهه بزرقة رهيبة ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخ (نور) :

ـ (أكرم) .. يا إلهى ! (أكرم) .

لم يكن قد تخلّى عن مسماعى الموجة المضادة بعد ، إلا أن كل الصور الوهمية للحراس فى الساحة ، بدت وكأنها تستعيد تماسكها ، وتستدير كلها نحو (أكرم) ..

ولم يكن من الممكن أن يغادر (نور) مكانه ..

أو ينطلق نحو (أكرم) ..

فلو أنه عاد عبر الباب الإليكترونى ، فلن يمكنه الدخول مرة أخرى ، حتى لو استخدم جهاز (نشوى) الصغير ..

نظم التأمين الاحتياطية ، التى بدأت عملها بالفعل ، كانت ستكشف أمر محاولته غير المشروعة للدخول حتمًا ..

وعندئذ تفشل الخطة كلها ..

خطة إنقاذ (مصر) ، من ذلك الشر الرهيب ..

بل إنقاذ العالم كله ..

وفى صرامة عجيبة ، اتجهت كل الصور الوهمية نحو جسد (أكرم) ، وهى تستعيد وضوحها ، و ...

وفجأة ، انبعث ذلك الصوت الرهيب من خلف (نور) ..

صوت يقول بكل السخرية والوحشية :

ـ إذن فقد أتيت إليَّ بنفسك .

استدار (نور) بكل توتره ، نحو مصدر الصوت ..

ثم انتفضت كل خلية فى جسده ..

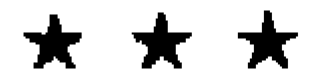
فعلى قيد متر واحد منه ، كان يقف ذلك العملاق الوهمى الهائل ، بوجهه الخالى من أية ملامح ..

وفى هدوء وحشى ، انحنى ذلك العملاق الرهيب نحو (نور) ، وهو يقول بصوته البشع :

ـ مرحبًا بك فى جحيمى الخاص .

وعندئذ أدرك (نور) أنها النهاية ..

بلا ريب .



٧ـ فى قبضة الشر ..

« لا يمكننا أن نقف صامتين يا سيادة المدير .. »

نطق أحد علماء مركز الرصد الفلكى الجديد العبارة ، فى عصبية بالغة ، وهو يلوّح بتلك الصورة ، التى تم التقاطها لذلك الجسم ، الذى يشق طريقه عبر فضاء المجموعة الشمسية نحو كوكب الأرض ، فانعقد حاجبا مدير المركز ، وهو يقول :

ـ وما الذى تتوقع منا فعله :

ـ نبلغ المسئولين على الفور .

تراجع مدير المركز فى مقعده ، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ أى مسئولين بالضبط ؟!

أجابه الرجل :

ـ أعلى مستوى منهم .. ما رأيناه ورصدناه ليس شيئًا عاديًّا يا رجل .. إنه أمر رهيب .. شىء لم يره عالم فلكى من قبل قط .

تراجع مدير المركز فى مقعده أكثر ، وأخذ يداعب ذقنه بسبّابته وإبهامه ، وهو يتطلّع إلى الرجل فى صمت ..

إنه على حق تمامًا ..

هذا الشىء ليس طبيعيًا ..

ليس كذلك أبدًا ..

ومن المؤكّد أن أية مراجع فلكية ، لن تضم معلومة واحدة عنه ..

هذا لأنه ليس جسيمًا فضائيًّا ..

أو كويكبًا ..

أو حتى ذرات معدنية فضائية متجمّعة ..

إنه شىء عجيب ..

فريد ..

ومنفرد ..

ولكنه ، وعلى الرغم من كل هذا يبدو له مألوفًا ..

لقد رآه فى مكان ما ..

أو فى فترة ما ..

رآه ويذكره جيِّدًا ..

جيِّدًا جدًّا ..

« ماذا ستفعل يا سيادة المدير ؟! »

انتزعته العبارة العصبية لعالم آخر ، من استغراقه فى أفكاره ، فاعتدل فى مقعده ، وهو يجيب :

ـ ما تقتضيه التعليمات يا رجل .

سأله ثالث :

ـ وما الذى تقتضيه التعليمات ، فى أمر كهذا ؟!

أشار المدير إلى جهاز الكمبيوتر المجاور له ، وهو يقول :

ـ أية أجسام فضائية جديدة ، يتم رصدها لأوَّل مرة ، لابد أن يحتفظ بأمرها سرًّا ، حتى لا نثير فزع العامة ، قبل تحديد هويتها بدقة ، ومن الضرورى أن نبلغ القائد الأعلى للمخابرات العلمية شخصيًّا ، أو رئيس الجمهورية نفسه ، وفقًا لأهمية الأمر وخطورته .

سأله العالم الأوَّل فى توتر :

ـ وهل أبلغت أحدهما ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لقد عجزت عن الاتصال بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فلا أحد يستطيع تحديد موقعه حاليًا ، أما سيادة الرئيس ؛ فقد طلبت مقابلته ، ولكننى لم أتلق ردًا من مدير مكتبه بعد .

بدا العالم الثانى شديد التوتر ، وهو يقول :

ـ ليس أمامنا فى الواقع الكثير من الوقت يا سيادة المدير ، فخلال سبع وخمسين دقيقة فحسب ، سيصل ذلك الشىء إلى الأرض ، وعندئذ قد نفقد أثره تمامًا .

هزَّ المدير برأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ـ لن يمكنه دخول الغلاف الجوى للأرض ، دون أن ترصده شبكة الأقمار الصناعية ، ونبلغ به كل الأسلحة الجوية فورًا .

سأله العالم الثالث فى قلق :

ـ هل تعتقد هذا يا سيِّدى ؟!

أجابه المدير فى حزم :

ـ لا شأن لقناعاتى الشخصية بالأمر .. إنها إجراءات حتمية ، منذ انتهاء الاحتلال ، واستعادة الأرض لعلومها وحضارتها(*) ..

(★) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، توحى بأنه ليس لديهم ما يضيفونه ، فأشار المدير بيده ، قائلاً :

ـ فليعد كل منكم إلى عمله الآن ، واتركوا لى تلك الإجراءات السخيفة .

همهموا جميعهم بكلمات مفهومة ، وهم يغادرون المكان ، فى حين التقط هو صورة ذلك الجسم المعدنى ، وتطلَّع إليها بعض الوقت ، قبل أن يتمتم فى توتر :

ـ أنا واثق من أننى قد رأيته يومًا .

دفع الصورة داخل جهاز خاص ، ثم ضغط أزرار الكمبيوتر ، وقال فى توتر :

ـ ما دام عقلى عاجز عن التذكُّر ، فلنترك الأمر لشبكة المعلومات .

التقط الجهاز الخاص صورة ذلك الجسم ، ثم نقلها إلى شبكة المعلومات العالمية ، التى راحت تقارنه بكل ما لديها ، قبل أن يتوقَّف البحث ، ويعلن التوصُّل إلى المعلومة المطلوبة ..

وعلى شاشة الكمبيوتر ، ظهرت صورة أخرى واضحة ، لذلك الجسم ، من زاوية مختلفة تمامًا ، وتراصت إلى جوارها

بعض المعلومات الخاصة به ، والتى لم تزد عن عدة أسطر ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، فتألقت عينا المدير ، وهو يقول :

ـ كنت واثقًا من أننى قد رأيته من قبل .

ثم التقط سمّاعة هاتفه الخاص ، وطلب رقمًا قصيرًا ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى قال :

ـ إنه أنا مرة أخرى .. أكرر طلبى العاجل ، لمقابلة السيِّد رئيس الجمهورية ، وأريد أن أؤكِّد فى هذه المرة ، إن الأمر أخطر مما يمكن تصوّره ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف بمنتهى الحزم :

ـ أخطر بكثير .

ومع قوله ، عاد يتطلَّع إلى تلك الصورة على الشاشة ..

صورة ذلك الجسم الفريد ..

والمنفرد ..

للغاية ..

* * *

لم يشعر اللواء (عماد) ، فى حياته كلها ، بالقهر والغضب ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظات ، وهو يدور فى زنزانته الصغيرة ، أسفل طابق مخابرات رياسة الجمهورية ..

لقد خطَّط للسيطرة على العالم ، والجلوس على عرش الكرة الأرضية ، فإذا بأمره ينتهى داخل زنزانة حقيرة كهذه ..

ـ وبأوامر من ؟!

الشىء الذى صنعه بنفسه ..

أو الذى أمر بصناعته ..

بتكوينه ..

بإعادة قدرات صاحبه الأصلى عبره ..

تلك القدرات الهائلة الرهيبة ، التى تصوَّر أنه سيسخرها لحسابه ..

ولتحقيق أغراضه ..

وأهدافه ..

وأحلامه ..

لقد اتخذ كل الاحتياطات ..

ولكنه انهزم ..

ذلك الشيء الرهيب ، كشف نقطة الضعف فى برنامجـه ، ودار حولها ، وانطلق فى اتجاه آخر ، و ....

وخدعه ..

امتلأت نفسه بغضب أكثر ..

ومرارة أكثر ..

وثورة أكثر ..

وبكل انفعال يعتمل فى أعماقه ، ضرب جدار الزنزانة ، صائحًا :

ذلك الوغد .

لم يكد ينطقها ، حتى سمع فى عقله ضحكة ساخرة عالية ، فالتفت بحركة حادة عصبية ، يتطلّع فى مقت إلى ذلك الشيء ، الذى اتخذ مرة أخرى تلك الصورة الوهمية لرئيس الجمهورية ، وهو يجلس على طرف ذلك الفراش الصغير ، عند الجانب الآخر للزنزانة ، قائلاً :

ـ هل أتى بابك الخلفى ثماره ؟!

قال اللواء (عماد) فى غضب شديد :

ـ لقد خدعتنى .

هزَّت الصورة الوهمية كتفيها ، وقالت :

ـ وماذا فى هذا ؟! البرنامج الذى تركته ، كباب خلفى لك ، يضمن عدم قدرتي على قتلك ، أو حتى توجيه الآخرين إلى فعل هذا ، وقد تحقق لك ما أردت .

هتف فى ثورة :

ـ كان بيننا اتفاق .

قالت الصورة الوهمية فى سخرية :

ـ لست أذكر أى اتفاق بيننا .. كل ما أذكره هو محاولة منك لفرض سيطرتك على الأمر ، متصورًا أن برنامجك الخلفى سيحميك منى تمامًا .

هزَّ اللواء (عماد) رأسه فى مرارة ، قائلاً :

ـ كان يمكننا أن نسيطر على العالم معًا .

مطَّت صورة الرئيس الوهمية شفتيها ، وقالت :

ـ ولماذا معًا ؟! لماذا أتخذ شريكًا ، ما دام بإمكانى الفوز بالغنيمة كلها وحدى ؟!

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

ـ هل كنت ستفعل العكس ، لو كنت مكانى ؟!

عضّ شفتيه فى قهر ، فأطلقت تلك الصورة الوهمية ضحكة وحشية مستفزة ، مضيفة :

ـ وحذار من الكذب أو التحايل ، فبرنامجك الخلفى لا يمنعنى من قراءة أفكارك ، ورصد انفعالاتك بمنتهى الدقة .

قال اللواء (عماد) ، فى غضب مرير :

ـ كان ينبغى أن آمرهم بإنهاء مشروعك ، عندما ظهرت بوادر تمرُّدك .

نهضت صورة الرئيس الوهمية ، قائلة :

ـ ولكنك لم تفعل ، وهذا أكبر خطأ ارتكبته فى حياتك كلها .

ثم مالت نحوه ، مستطردة فى سخرية :

ـ كان ينبغى أن تتخذ القرار المناسب ، فى الوقت المناسب .

عضّ اللواء (عماد) شفتيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ ليتنى فعلت .

أطلقت الصورة الوهمية ضحكة أخرى ، ولوّحت بيدها ، فى حركة مسرحية أنيقة ، قبل أن تقول :

ـ لست أميل أبدًا إلى تكرار الأقوال ، ولكن دعنى أذكِّرك بأنك لم تفعل .. ولو تكرَّر الأمر الآن ، لم تكن لتفعل أيضًا ؛ لأن الطمع ، الذى ملأ جوارحك ، مع رغبتك العارمة فى السيطرة ، ولهفتك عليها ، كانا سيمنعانك من اتخاذ قرار بإنهاء المشروع .. وهذا من حسن طالعى .

صاح اللواء (عماد) :

ـ أتمنى أن تخسر حريك هذه .

تألَّقت عينا الصورة الوهمية ، وهى تقول :

ـ اطمئن .. لن يحدث هذا أبدًا .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى زهو :

ـ إننى أنتصر على طول الخط .

كرَّر (عماد) فى مقت :

ـ أيها الوغد الحقير .

أطلقت الصورة الوهمية ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن تقول ، بصوت ساخر وحشى :

ـ ولكن دعنى أعترف لك : إنك كنت على حق تمامًا .

تطلَّع إليها اللواء (عماد) ، فى تساؤل عصبى ، فتابعت بنفس السخرية الوحشية :

ـ السيطرة على البشر وإذلالهم ، أمر ممتع .. ممتع إلى أقصى حد .

وانتفض جسد اللواء (عماد) فى عنف ، مع تلك الضحكة الرهيبة ، التى تردَّدت فى أعمق أعماق عقله ..

أما تلك الصورة الوهمية ، فقد تلاشت فى بطء ، حتى اختفت تمامًا ـ لتبدأ جولة جديدة فى مكان آخر ..

جولة من جولات صراعها الرهيب ..

صراع السيطرة ..

الوحشى ..

★ ★ ★

على نحو لم يسبق له مثيل ، راح جسد (نشوى) ينتفض ، داخل القاعة الخاصة بالفريق ، وقد شملها انفعال جارف ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ..

وبكل ذلك الانفعال ، هتفت :

ـ ساعدهما يا إلهى ! ساعدهما على مواجهة ذلك الشر الرهيب .

حاولت (سلوى) تهدئتها ، على الرغم من كل ما تشعر به فى أعماقها من توتر ، فربتت على كتفها ، قائلة :

ـ نحن نعلم إنه ليس باستطاعتهما إجراء أى اتصال معنا ، فور دخولهما إلى مركز الأبحاث العسكرية .

فركت (نشوى) كفيها ، فى توتر بالغ ، وهى تقول :

ـ أعلم هذا يا أمى .. أعلم هذا ، ولكننى لا أستطيع منع ذلك التوتر الشديد ، الذى يسرى فى كل ذرة من كيانى .

ثم التفتت إليها بعينين دامعتين ، مستطردة فى مرارة :

ـ إنهما يواجهانه مباشرة هناك يا أمى .. يواجهان الوحش ، الذى ما زلنا نجهل ما هيته بالضبط .

قال (رمزى) ، بصوت متماسك :

ـ (نور) و(أكرم) محترفان يا (نشوى) .

غمغم الدكتور (حجازى) مكملاً :

ـ وهما يعلمان تمامًا ما ينبغى فعله .

قالت (نشوى) فى مرارة :

ـ ليس لدى ذرة من الشك فى هذا ، ولكن عقلى عاجز عن السيطرة على مشاعرى ، على الرغم من كل محاولاتى ..

ربّتت (سلوى) على كتفها مرة أخرى ، وقالت :

ـ فلندع اللّه (سبحانه وتعالى) ، أن يوفقهما فى مهمتهما .

هتفت (نشوى) ، من أعماق قلبها :

ـ يارب .

مع دعائها ، انبعث أزيز خافت ، من جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، فالتفتت إلى شاشته فى سرعة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول فى عصبية :

ـ إنها إشارة فائقة القصر أخرى .

انتفض جسد (سلوى) ، وهى تسألها :

ـ هل يحاول اقتحام مقرنا الخاص مرة أخرى ؟!

أجابتها (نشوى) فى سرعة :

ـ لا .. ليس هو .

هتف بها الدكتور (حجازى) :

ـ من إذن ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .

راحت تلك الإشارة ، التى يستقبلها جهازها الخاص تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

ثم فجأة ، دوت فرقعة مكتومة فى المكان ..

وفى ذعر شديد ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه ! لقد تجاوز شىء ما حاجز النيران المضاعف ... شىء آخر .

لم يكن قولها قد اكتمل بعد ، عندما ظهرت سحابة عجيبة ، فى منتصف القاعة ، فهتفت (سلوى) :

ـ إنه هو .

ولكن (رمزى) أجاب فى سرعة :

لا .. ليس هو .. إنه .. إنه ..

لم يستطع إتمام عبارته ، مع ذلك الانفعال الجارف ، الذى سرى فى كيانه كله ، والذى انتقل منه إلى (سلوى) ، و(نشوى) ، والدكتور (حجازى) أيضًا ، وكلهم يراقبون ذلك الشكل الهلامى ، الذى راح يتكوّن فى بطء ، وسط القاعة ..

ويتكوَّن ..

ويتكوَّن ..

ثم شهقت (سلوى) ، هاتفة :

ـ رباه ! هذا مستحيل !

نطقتها ، وقلبها يختلج بين ضلوعها فى قوة ، مع عنف المفاجأة ..

المفاجأة المذهلة ..

★ ★ ★

« لا تتركنى يا (نور) .. »

تردَّدت العبارة فى رأس (نور) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء شديد ،، وذهنه يستعيد ذلك المشهد المأساوى ، لزميله (أكرم) ، وهو يسقط وسط ساحة المركز كالمصعوق ، وتلك الصور الوهمية للحراس تحيط به ، وتصوِّب إليه أسلحتها ..

« أنقذنى منهم يا (نور) .. »

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، وهو يتمتم فى أعماقه :

ـ لن أتركك يا (أكرم) .. لن أتركك بين أيديهم أبدًا .. سأنقذك يا صديقى .. سأنقذك منهم ، حتى ولو كان هذا آخر ما أقوم به ، فى حياتى كلها ..

« .. لا .. لا تفعل .. اهرب يا (نور) .. اتركنى واهرب ، قبل أن يظفروا بك أيضًا .. »

تردَّدت العبارة فى أعمق أعماق عقله ، حاملة صوت (أكرم) فى وضوح ، كما لو كانت تنطلق من بين شفتى هذا الأخير بالفعل ، فهزّ (نور) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مستحيل يا (أكرم) .. مستحيل أن أتركك لهم !

ولكن صوت (أكرم) أخذ يتباعد ..

ويتباعد ..

ويتباعد ..

ومن بعيد ، كما لو أنه يأتى من أعماق سحيقة ، قال (أكرم) :

اتركنى يا (نور) .. أنت الأمل الأخير يا (نور) .. أمل الأرض الأخير ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ..

لم تكد عبارة (أكرم) تنتهى ، حتى انطلقت ضحكة وحشية رهيبة ، فى أعماق عقل (نور) ، انتفض لها جسده كله ، قبل أن ينبعث فى أعماقه ذلك الصوت المخيف ، قائلاً :

ـ لا تصدّق هذا أيها المقدّم .

حاول (نور) أن يفتح عينيه ، أو يحرّك ذراعيه ، إلا أنه أدرك في البداية ، أن معصميه مقيدان بإحكام إلى جدار معدنى ، حتى قبل أن ينجح فى فتح عينيه فى بطء ..

بطء شديد ..

ولكن عقله لم يكن صافيًا كما ينبغى ، حتى وهو يستقبل تلك العبارة فى عقله ، والتى تضيف فى سخرية مخيفة :

ـ لو أنك أمل الأرض الأخير ، فهذا يعنى أن الأرض قد فقدت آخر أمل لها ..

أعقبت العبارة ضحكة ساخرة وحشية أخرى ، ففتح (نور) عينيه عن آخرهما ..

ولكن الظلام كان يحيط به من كل جانب ..

ظلام دامس عجيب ، لم ير مثله أبدًا ، فى حياته كلها ..

« لا تجعل هذا الظلام يخيفك أيها المقدّم .. »

انبعث الصوت الوحشى داخل عقله ، فتمتم (نور) ، وهو يحاول التخلص من القيود ، التى تثبته إلى الجدار :

ـ أعتقد أنه ظلام وهمى أيضًا .. أنت تسيطر على عقلى ، وتمنع عينىَّ من الرؤية .. أليس كذلك .

أتاه ذلك الصوت الوحشى مرة أخرى ، فى أعماق عقله ، وهو يقول فى شماتة ساخرة :

ـ عبقرى كما تعوّدت منك أيها المقدّم .

سأله (نور) ، فى صرامة شديدة ، على الرغم من موقفه :

ـ ما الذى تحاول منعى من رؤيته بالضبط ؟!

أجابه ذلك الصوت الوحشى :

ـ لا شىء أيها المقدّم .. إننى أريدك أن ترى كل شىء ، ولكن فى اللحظة التى اختارها أنا .

ومع نهاية قوله ، زالت الغشاوة المظلمة عن عينى (نور) بغتة ، واتضح له المشهد كله ..

وانتفض جسده فى قوة ..

فقد كان داخل قاعة التجارب والأبحاث الرئيسية ، فى مركز الأبحاث العسكرية ..

وكان جسد (أكرم) معلّقًا من قدميه ، فى سقف القاعة ، وهو يتدلى فاقد الوعى ..

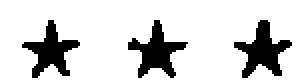
وتحته مباشرة ، وداخل وعاء زجاجى كبير ، كان يستقر ذلك الشىء ..

لم يكن أشبه ببيضة معدنية كبيرة ، كما وصفه وزير الدفاع ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

بل كان شيئًا مختلفًا ..

شىء بشع ، رهيب ، مخيف ..

إلى أقصى حد .



انتهى الجزء الثالث بحمد اللّٰه

ويليه الجزء الرابع والأخير

(آخر العمالقة)

ملف المستقبل

صدر من هذه السلسلة :

1 - أشعة الموت.
2 - اختفاء صاروخ.
3 - مدينة الأعماق.
4 - غزاة الفضاء.
5 - القنبلة الغامضة.
6 - زائر من المستقبل.
7 - جنون طائرة.
8 - الارتجاج القاتل.
9 - صراع الحواس.
10 - الفارس المجهول.
11 - منطقة الرعب.
12 - طريق الأشباح.
13 - الزمن المفقود.
14 - نداء النجوم.
15 - مثلث الغموض.
16 - الوباء الجهنمى.
17 - نبض الخلود.
18 - ظلال الفزع.
19 - عيون الهلاك.
20 - العقول المدنية.
21 - أطياف الماضى.
22 - ليلة الرعب.
23 - بصمات السحرة.
24 - الضوء الأسود.
25 - صحوة الشر.
26 - لعنة الفضاء.
27 - الفخ الزجاجى
28 - النهر المقدس.
29 - الإيقاع المفترس.
30 - النار الباردة.
31 - رنين الصمت.
32 - الأفق الأخضر.
33 - حارس الأرواح.
34 - وحش المحيط.
35 - مرآة الغد.
36 - الموت الأزرق جـ ١.
37 - السماء المظلمة جـ ٢
38 - من وراء النجوم ج ٣.
39 - الثلوج الساخنة.
40 - علامات الخوف.
41 - مملكة النار.
42 - الأرض الثانية.
43 - ثقب فى التاريخ.
44 - الخارقون.
45 - السحاب الأحمر.
46 - الكوكب الملعون.
47 - المقاتل الأخير.
48 - سجن القمر.
49 - غزو الأرض.
50 - الأسطورة.
51 - الخلية القاتلة جـ ١.
52 - العدو الخفى جـ ٢.
53 - أمطار الموت.
54 - عبر العصور جـ ١.
55 - أسرى الزمن جـ ٢.
56 - شيطان الأجيال جـ ٣.
57 - منطقة الضياع.
58 - معركة الكواكب جـ ١.
59 - جحيم أرغوان جـ ٢.
60 - أرض العمالقة.
61 - الكابوس.
62 - سادة الأعماق جـ ١.
63 - المحيط الملتهب جـ ٢.
64 - السيف البلورى جـ ١.
65 - أبواب الموت جـ ٢.
66 - الشمس الزرقاء.
67 - شيطان الفضاء.
68 - عقول الشر.
69 - العالم الآخر.
70 - الستار الأسود.
71 - أمير الظلام.
72 - ابن الشيطان جـ ١.
73 - مبعوث الجحيم جـ ٢.
74 - الصراع الجهنمى جـ ٣.
75 - الجولة الأخيرة جـ ٤.
76 - الاحتلال جـ ١.
77 - المقاومة جـ ٢.
78 - الصراع جـ ٣.
79 - التحدى جـ ٤.
80 - النصر جـ ٥.
81 - رمز القوة.
82 - حصن الأشرار.
83 - أرض العدم.
84 - كنز الفضاء.
85 - الأمل الفيروزى.
86 - الإمبراطور.
87 - نصف آلى.
88 - الانفجار الحى.
89 - البركان.
90 - رعب فى الأعماق.
91 - ضد الزمن.
92 - الرحلة الرهيبة.
93 - نقطة الصفر.
94 - الساحر.
95 - القوة السوداء.
96 - بذور الشر.
97 - لهيب الكواكب.
98 - نيران الكون.
99 - الانفجار.
100 - الزمن = صفر.

سرى جداً !!

101 - الحرباء.
102 - التوءم الرهيب.
103 - الأرض المفقودة.
104 - أنياب ومخالب.
105 - وجوه من ثلج.
106 - بلا أثر.
107 - لعنة الدم.
108 - مصيدة الفضاء.
109 - الدوامة.
110 - الفجوة السوداء.
111 - كوكب الملفاة.
112 - بصمة الموت.
113 - حرب الفيروسات.
114 - الرعب.
115 - العدو الخارق.
116 - العاصفة النووية.
117 - فارس الزمن.
118 - ألف عصر.
119 - زمن الدم.
120 - الفارس الثانى.
121 - المجهول.
122 - الظلال الرهيبة.
123 - دائرة الظل.
124 - الغزاة.
125 - كرة النار.
126 - لهيب الرعب.
127 - طريق النجوم.
128 - الزمن الآخر.
129 - وراء العقل.
130 - القوة.
131 - العاصفة.
132 - الرمال الحية.
133 - نقطة التماس.
134 - سادة الكون.
135 - فودو.
136 - الأحراش القسورية.
137 - الشر.
138 - الأعماق.
139 - حرب الأشباح.
140 - قراصنة الزمن.
141 - الثعابين.
142 - أنياب.
143 - بلا جسد.
144 - العقل.
145 - الخصم الرهيب.
146 - البقعة المظلمة.
147 - الصحوة الكبرى.
148 - عودة الشر.
149 - المخ.

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

1 - الاختفاء الغامض.
2 - سباق الموت.
3 - قناع الخطر.
4 - صائد الجواسيس.
5 - الجليد الدامي.
6 - قتال الذئاب.
7 - بريق الماس.
8 - غريم الشيطان.
9 - أنياب الثعبان.
10 - المال الملعون.
11 - المؤامرة الخفية.
12 - حلفاء الشر.
13 - أرض الأهوال.
14 - عملية مونت كارلو.
15 - إمبراطورية السم.
16 - الخدعة الأخيرة.
17 - انتقام العقرب.
18 - قاهر العمالقة جـ ١.
19 - أبواب الجحيم جـ ٢.
20 - ذهب الثلوج.
21 - مضيق النيران.
22 - أصابع الدمار.
23 - فارس اللؤلؤ.
24 - الضباب القاتل.
25 - الخنجر الفضي.
26 - آخر الجبابرة.
27 - الجوهرة السوداء.
28 - قلب العاصفة.
29 - الصراع الشيطاني.
30 - الرمال المحرقة.
31 - الخطوة الأولى.
32 - خيط اللهب.
33 - القوة (أ).
34 - مارد الغضب.
35 - قراصنة الجو.
36 - ذئب الأحراش.
37 - مخلب الشيطان.
38 - لعبة المحترفين.
39 - أعماق الخطر.
40 - مهنتي القتل.
41 - الانتحاريون.
42 - الهدف القاتل.
43 - المخاطر.
44 - العين الثالثة.
45 - القضبان الجليدية.
46 - لهيب الثلج.
47 - الرصاصة الذهبية.
48 - شيطان المافيا.
49 - الضربة القاضية.
50 - مهمة خاصة.

51 - سم الكوبرا.
52 - جبال الموت.
53 - ذئاب ودماء.
54 - رحلة الهلاك.
55 - أفعى برشلونة.
56 - الفهد الأبيض.
57 - عملية الأدغال.
58 - إعدام بطل.
59 - انتقام شبح.
60 - دونا كارولينا.
61 - ملائكة الجحيم.
62 - ملك العصابات.
63 - الجاسوس.
64 - تحت الصفر.
65 - الجليد المشتعل.
66 - ألف وجه.
67 - الجحيم المزدوج.
68 - قلعة الصقور.
69 - أجنحة الانتقام.
70 - أباطرة الشر.
71 - ضد القانون.
72 - شريعة الغاب.
73 - المقاتل الرهيب.
74 - الدائرة الجهنمية.
75 - أسوار الجحيم.
76 - النهر الأسود.
77 - عمالقة مارسيليا.
78 - صحراء الدم جـ ١.
79 - صفقة الموت جـ ٢.
80 - وكر الإرهاب جـ ٣.
81 - الرجل الآخر جـ ١.
82 - الأخطبوط جـ ٢.
83 - معركة القمة جـ ٣.
84 - جزيرة الجحيم.
85 - لمسة الشر.
86 - الثعلب.
87 - خط المواجهة.
88 - سفير الخطر.
89 - قبضة السفاح.
90 - الهدف.
91 - الوجه الخفي.
92 - الخطر.
93 - أرض العدو.
94 - كتيبة الدمار.
95 - الصراع الوحشي.
96 - المعركة الفاصلة.
97 - الصقر الأعمى.
98 - القناص.
99 - مذاق الدم.
100 - الضربة القاصمة.

101 - القلاب.
102 - نهر الدم.
103 - المحترف.
104 - الإعصار الأحمر.
105 - عقارب الساعة.
106 - الأفعى.
107 - اتحاد القتلة.
108 - الفخ.
109 - قبضة الشر.
110 - اغتيال.
111 - معبد الجريمة.
112 - الفريق الأسود.
113 - رياح الخطر.
114 - ممر الجحيم.
115 - بلا رحمة.
116 - مهرجان الموت.
117 - عمالقة الجبال.
118 - الأربعة الكبار.
119 - فوق القمة.
120 - السنيورا.
121 - وجه الأفعى.
122 - الأصابع الذهبية.
123 - المستحيل.
124 - اللمسة الأخيرة.
125 - عملية النيل.
126 - ساعة الصفر.
127 - نقطة الضعف.
128 - الصحوة.
129 - القراصنة.
130 - محيط الدم.
131 - المطرود.
132 - فريق المستحيل.
133 - نمور الثلوج.
134 - الأبطال.
135 - الأستاذ.
136 - المغامرة الكبرى.
137 - مدينة الذئاب.
138 - الضحايا.
139 - الوحش الآدمي
140 - المواجهة الأخيرة.
141 - رمال ودماء.
142 - رجل وجيش.
143 - الأوراق المكشوفة.
144 - المحترفون.
145 - الورقة الأخيرة.
146 - المأزق.
147 - الغامضة.
148 - الخطة (ب).
149 - المصيدة.

روايات مصرية للجيب

حرب الجواسيس





١ - صراع الجواسيس .

٢ - الخدعة الكبرى .

٣ - قلب العدو .

٤ - الجاسوس الغامض .

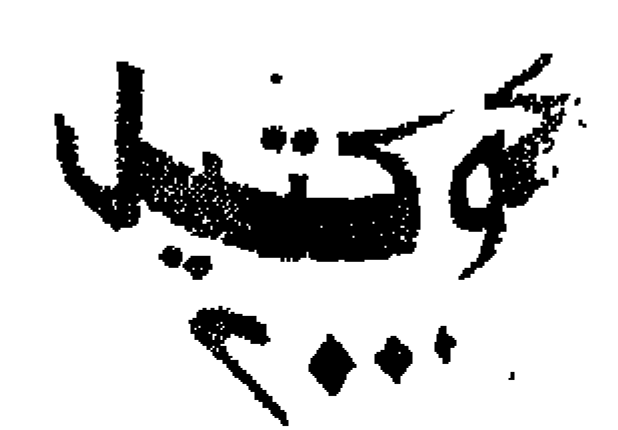
٥ - الجاسوس .

٦ - عملية الكود (ألفا) .

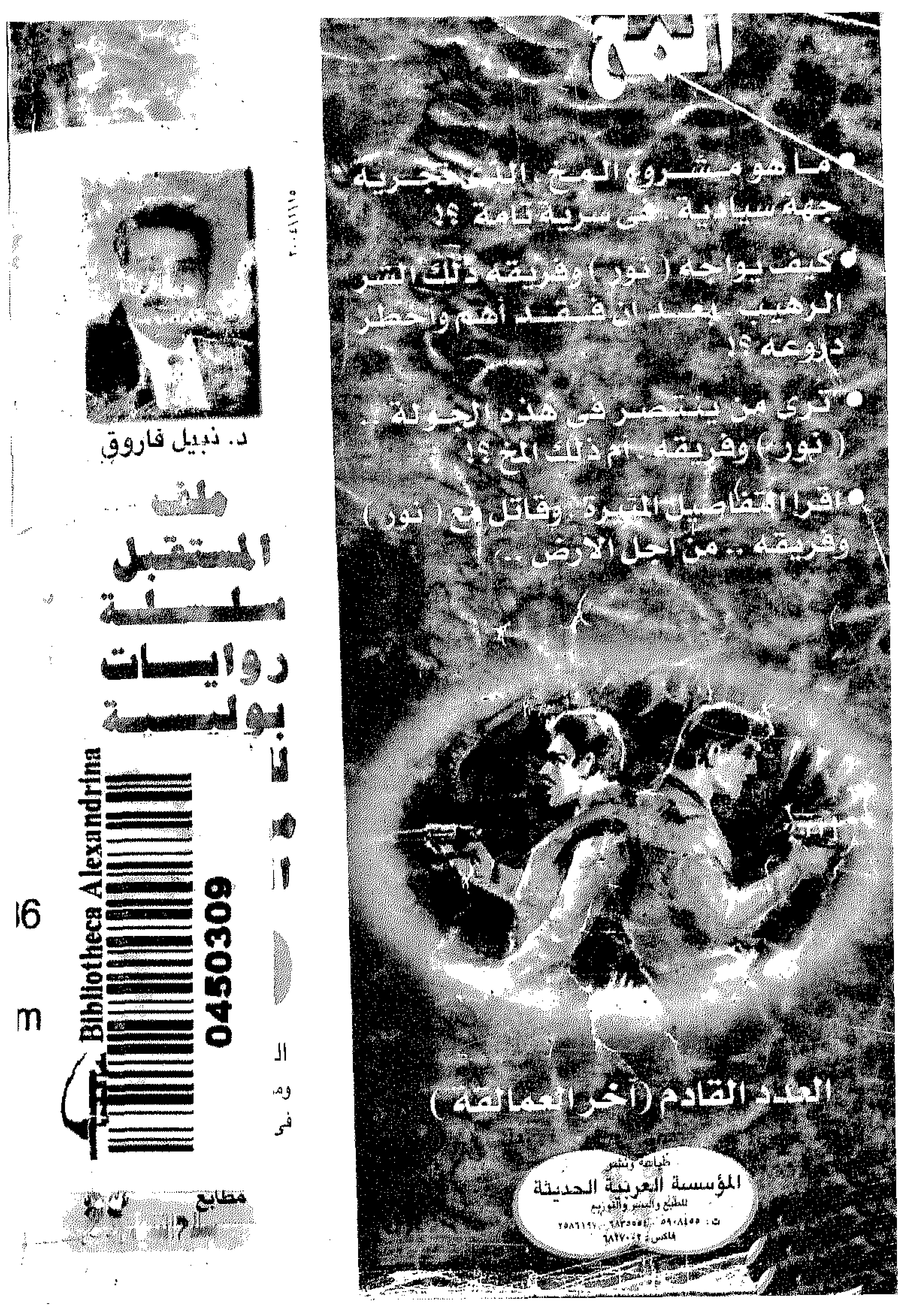


روايات مصرية للجيب

باقة من القصص والروايات المصرية
قمة في التشويق والإثارة



رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٢٣٢٧٤
٩٧٧ - ٣٢٨ - ٠٤٣ - ١



ما هو مشروع المخ الذى تجريه جهة سيادية فى سرية تامة ؟!
كيف يواجه (نور) وفريقه ذلك الشر الرهيب بعد أن فقد أهم وأخطر دروعه ؟!
ترى من ينتصر فى هذه الجولة .. (نور) وفريقه .. أم ذلك المخ ؟!
اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..
العدد القادم (آخر العمالقة)
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
د. نبيل فاروق
ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية
Bibliotheca Alexandrina
0450309